البابا شنودة الثالث

شخصيات الكتاب المقدس
١-آدم وحواء
٢- قايين وهابيل
1- Adam & Eve
2- Cain & Abel

توجد صورة لقداسة البابا شنوده الثالث

مقدمة

ليست هذه دراسات فى العهد القديم ، ولا هى مقدمات لأسفاره ، إنما هى تأملات روحية ، تقدم منهجاً تأملياً فى الكتاب ٠

وقصتها قديمة معى ٠٠

إذ كنت قد قمت بتدريس العهد القديم فى الكلية الإكليريكية ، عقب تخريجى فيها ، من أكتوبر سنه ١٩٤٩ ، أى أكثر من ثلاثين عاماً ٠٠ كما قمت بتدريس العهد الجديد من سنة ١٩٥٢ ٠

وكنت أرى الكتاب - كما قدمه الرب لنا - روحاً وحياة ٠٠

وهذا ما أريد أن أقدمه لك ، أيها القارئ العزيز ٠

تماماً ، كما قدمته فى محاضرات يوم الثلاثاء بالكاتدرائية الكبرى ، خلال ثلاث سنوات من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٢ م ٠

وأود من أجلك ، أن أتابع نشر هذه المجموعة ، التى أحب أن تحتفظ بها معك ، كاملة ٠٠

وثق أنك سترى حياتك الخاصة ، من خلال شخصيات الكتاب ٠٠ فالنفسية البشرية هى ، منذ آدم ، وحواء إلى يومنا هذا ٠٠

ولقد صدرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة عن " آدم وحواء " ، و" قايين وهابيل " فى ٢٤ فبراير ١٩٨٠ ونفذت فور صدورها ٠ وها نحن نعيد طبعها ، ليحتفظ بها من فاته إقتناؤها قبلاً ٠٠

وسأحاول أن أتابع معك شخصيات العهد القديم ، حتى يوحنا المعمدان ٠٠ كما نتناول شخصيات العهد الجديد أيضاً ، إن أحب الرب وعشنا ٠

وأحتاج إلى صلواتك ، لكيما يعطينى الرب نعمة لإكمال هذا العمل

سبتمبر ١٩٨٣

شنوده الثالث

شخصيات الكتاب

*** قدم لنا الكتاب المقدس ألواناً متنوعة من " أناس الله القديسين " :**

إنها صور متعدده من قديسين ، كل منهم له طابعة الخاص ، يختلفون فى العمر والجنس والوظيفة والحياة الإجتماعية والأسلوب الروحى ٠

وذلك لكى نتعلم أن القداسة ملك للكل ، وليست وقفاً على فئة معينة من الناس دون غيرها ٠٠

فلم يقدم لنا الكتاب حياة القداسة أو حياة الكمال ، قاصرة على الأنبياء والرسل مثلاً ، أو على الكهنة ورؤساء الكهنة ، أو على صانعى العجائب والمعجزات ، إنما هى للكل ، وهى بإمكان كل أحد

*** قدم لنا الكتاب المقدس فى مراحل متفاوتة من العمر :**

منهم الأطفال مثل صموئيل ، ومنهم الصبيان مثل داود وأرمياء ٠ ومنهم الشباب مثل يوسف الصديق ، ويوناثان ، و مارمرقس ويوحنا الحبيب ٠ منهم الرجال الناضجون مثل موسى وبطرس ، ومنهم الشيوخ مثل نوح وأخنوخ وإبراهيم ٠٠ وسمعان الشيخ

*** قدم لنا رجالاً ككل هؤلاء ٠ كما قدم لنا نسوة قديسات ٠٠** مثل مريم العذراء ، وحنة النبية ، وسارة ، وراعوث ، إستير ، واليصابات ، ومريم أخت لعازر ٠٠ وغيرهن كثيرات ٠

***وكما قدم لنا قديسين متفاوتين فى العمر ، قدم لنا أيضاً قديسين متفاوتين فى المركز الإجتماعى ، وفى الغنى والفقر : فالمسألة أولاً وأخيراً مسألة قلب مستعد لعمل النعمة فيه ، أياً كان مركزه أو وضعه المالى أووظيفته المالى أووظيفته فى المجتمع ٠**

وهكذا قدم لنا الكتاب قديسين أغنياء جداً مثل أيوب الصديق ، وأبينا إبراهيم ، ويوسف الرامى ٠ كما قدم لنا فقراء مثل الأرملة التى دفعت من أعوازها فلسين فى الصندوق ، ومثل أرملة صرفة صيدا التى إستضافت إيليا النبى ، ومثل لعازر المسكين الذى كان يستعطى ، وكانت الكلاب تلحس قروحه ٠

قدم لنا الكتاب رعاة غنم مثل داود وإسحق ويعقوب ، وصيادى سمك مثل بطرس وإندراوس وعشارين مثل متى وزكا ، وملوكاً مثل داود ويوشيا ، ووزراء مثل دانيال ويوسف ، وأسرى حرب مثل الثلاثة فتية ، وأبطالاً مثل شمشون ، وقضاة مثل جدعون ، وطبيباً مثل لوقا ، وكاتباً مثل عزرا ، وخادماً مثل لعازر الدمشقى ٠٠

*** قدم لنا الكتاب أيضاً قديسين متفاوتين فى ثقافتهم وعلمهم :**

فبينما نرى موسى الذى " تهذب بكل حكمة المصريين " ، وبولس الذى كان من علماء عصره ، وسليمان الذى كان الحكم أهل الأرض فى زمانه ، نرى أيضاً جهال العالم الذين إختارهم الله ليخزى بهم الحكماء ٠٠

*** كذلك قدم لنا الكتاب أمثلة متفاوتة فى البتولية والزواج والترمل ، وكلها كانت حياة مقدسة طاهرة أحبها الرب ٠٠**

قدم لنا بتوليين قديسين مثل إيليا واليشع ويوحنا المعمدان و يوحنا الحبيب ، ومتزوجين قديسين مثل نوح البار ، وبطرس الرسول ، وأخنوخ أبى الآباء الذى رفعه الله إليه ٠٠ كما قدم لنا من عاشوا حياة مقدسة فى الترمل مثل حنة النبية ، ومن تزوجوا بعد ترملهم مثل راعوث ، ومن تزوجوا بأكثر من واحدة مثل إبراهيم وموسى وداود ٠٠

وعلى جبل التجلى ، ظهر السيد المسيح ، محاطاً بإيليا البتول ، وبموسى المتزوج ، والكل يحيط بهم نور عجيب ٠ وحول الصليب ، كانت مريم العذراء ويوحنا البتول ، ومريم زوجة كلوبا التى أتجبت عدداً كبيراً من البنين والبنات ٠٠

*** قدم لنا الكتاب من عاشوا حياة مقدسة منذ البدء ، ومن جاءوا إلى الرب أخيراً ، ورحمهم الله وقبلهم إليه :**

قدم لنا قديسين من بطون أمهاتهم ، مثل يوحنا المعمدان الذى من بطن أمه إمتلأ من الروح القدس ٠ كما قدم لنا قديسين وقديسات عاشوا فى عمق الخطية قبل لقائهم بالرب مثل اللص اليمين ، والمرأة التى بللت قدمى الرب بدموعها ، ومثل راحاب الزانية ، وقدم لنا الكتاب أشخاصاً عاشوا من قبل بعيدين عن الله ، مثل مريم المجدلية التى أخرج منها الرب سبعة شياطين ، المرأة الكنعانية التى كانت من شعب ملعون أممى ٠٠

وقدم لنا قديسين من مضطهدى الكنيسة ، مثل شاول الطرسوسى ، ومثل الجندى الذى طعن المسيح بالحربة ٠

*** قدم لنا الكتاب المقدس شخصيات تحمل ألوانا من الروحيات ، متنوعة ، ومتغايرة ولكننا نراها كلها متكاملة :**

قدم لنا إيليا الشديد النارى ، الذى أغلق السماء ثلاث سنين وستة أشهر فلم تمطر ، والذى قتل المئات من أنبياء البعل وأنبياء السوارى ، وانتهر آخاب الملك ، وقال لتنزل نار من السماء سكب دموعه ومراثيه ٠

وأرنا الكتاب كيف أن الله عمل فى الشخصية النارية ، كما عمل فى الشخصية الباكية ٠ وإستخدم الإثنتين فى بناء ملكوته ٠ فليس المهم هو نوعية الشخص ، إنما تسليمه لإرادته فى يد المشيئة الإلهية ٠

فى الكتاب نرى شخصية بطرس الرسول المملوءة غيرة وتسرعاً وإندفاعاً ، مع شخصية توما المملوءة حرصاً وشكاً وتريثاً وحباً للفحص وبعداً عن الإندفاع ٠ وكلاهما فى يد الرب ، يعمل بهما ٠ ونرى فى الكتاب كيف إستخدام الله أناسا كما هم ، بينما غير البعض فحول يوحنا إبن الرعد ، تلميذ المعمدان إلى قلب كله حب ٠٠

*** وكل فضيلة تعجبنا ، نرى شخصيات فى الكتاب تمثلها :**

نرى أيوب يمثل الصبر ، وسمعان الشيخ يمثل الرجاء والإنتظار ٠ نرى داود يمثل التوبة والإنسحاق وإبراهيم يمثل الطاعة والإيمان ٠ نرى يعقوب الهادئ المحتمل ، ويحنا المعمدان المشهور بالصمت والتأمل ٠٠

إنها باقة من الفضائل متنوعة الأزهار والألوان والعطور :

يقدمها الكتاب المقدس ، فى أشخاص أتقنوها عملياً ، وتركوها لنا كقدوة ومثال ٠ بحيث أننا إن أردنا صفة ما ، أو فضيلة ما ، سنجد حتماً الشخص الذى يعطى لها صورة مثالية ٠ وهكذا يكون الكتاب جامعاً لكل ما نريد ٠

*** لذلك لا ييأس أحد مفتكراً أن حالته لا تناسب دعوة الله :**

فالله مستعد أن يدعوك كما أنت ، أياً كانت حالتك ، أو ثقافتك ، أو سنك ، أو مركزك ، أو وضعك الإجتماعى ٠٠ إنه " الداعى الكل إلى الخلاص " ٠٠ ولعلك تجد مثيلاً لك فى الكتاب المقدس ، قد عمل الله فيه وبه ٠٠

لا تقل إذن " لست أصلح " ٠ فليس المهم هو صلاحيتك ، إنما المهم هو عمل الله معك ٠ والله قادر أن تعمل مع الكل ٠ قل له إذن " مستعد قلبى يا الله ، مستعد قلبى " (مز ٥٦)

*** ومن الأمور المعزية أيضاً فى الكتاب أنه قدم لنا مثاليات مثلنا ، لقديسين كانت لهم ضعفاتهم ونقائصهم وسقطاتهم :**

ولكن روح الله قد عمل فيهم ، وأوصلهم إلى درجات عليا فى القداسة ، على الرغم من هذه الطبيعة التى يمكن أن تضعف أحياناً ، وتسقط ٠٠ وما أعمق وأصدق قول الكتاب :

" إيليا كان إنسانا تحت الآلام مثلنا ٠٠ " (يع ٥ : ١٧ ، ١٨) ٠

ومع أنه كان تحت الآلام مثلنا ، إلا أنه " صلى صلاة " ٠ وإستطاع أن يغلق السماء وأن يفتحها قدم لنا الكتاب إبراهيم الذى خاف أن يقتلوه ، فقال عن زوجته سارة إنها أخته ٠ ويعقوب الذى خدع أباه ، وسرق بركة أخيه ٠ وشمشون الذى أغرته دليلة ، فكسر نذره ٠ ونوحاً الذى سكر وتعرى ، وداود الذى زنى وقتل ، وتوما الذى شك ، وبطرس الذى أنكر ٠٠

لم يقدم لنا الكتاب قديسين معصومين ، أو بشراً من نوع الملائكة ، إنما قدم بشراً مثلنا ، واقعاً لا خيالاً ٠٠ قدم النفس البشرية التى نعرفها ، والتى إختبرناها ، " الأوانى الخزافية " السهلة الكسر ، التى عمل فيها الخزاف العظيم ، وصنع منها أوانى للكرامة ، وجعلها رائحة بخور ذكية ، أمام الملائكة والبشر ٠٠ وكان " فضل القوة لله وليس لنا " (٢كو ٤ : ٧) ٠ أما عن الحروب الروحية التى تعرض لها هؤلاء ، فيغزينا الكتاب بقوله : **" الحرب للرب ٠ والرب قادر أن يغلب بالكثير وبالقليل ٠**

قدم لنا الكتاب المقدس عينات من قديسين ، من نفس نوعنا ، يمكن أن تضعف ، ويمكن أن تسقط ، ويمكن أن تخطئ وأن تزل ٠٠

***ولكنه قدم لنا فى هؤلاء القديسين الذين أخطأوا ، صوراً رائعة من التوبة ٠ نصف الحقيقة أنهم أخطأوا ، والنصف الآخر ، الأروع ، أنهم تابوا ٠٠**

إن الكتاب المقدس صريح وواقعى ٠ إنه يقدم لنا قديسين من نفس طبيعتنا ، التى يمكن أن تخاف ، وأن تشتهى ، وأن تفتر ، وأن تهرب ، وتختبئ من الله ٠٠ حتى السبعة ملائكة الذين للسبع كنائس فى آسيا ، نراهم من نفس الطبيعة البشرية العادية :

لذلك حينما ندرس هؤلاء الرعاة ، الذين وصفهم الكتاب بأنهم ملائكة ، لا ننسى أن واحداً منهم كان فاتراً ، لا هو حار ، و لا هو بارد ، وكان الله مزمعاً أن يتقيأه (رؤ ٣ : ١٦) ٠ ونرى واحداً آخر منهم ، على الرغم من تعبه وكده لأجل الله ، عاد وترك محبته الأولى ، وأرسل له الله قائلاً " أذكر من أين سقطت وتب " (رؤ ٢ : ٥) ٠ ونرى ملاكاً ثالثا من ملائكة هذه الكنائس السبع ، يقول له الرب " إن لك إسماً إنك حى وأنت ميت " (رؤ ٣ : ١)

إنها نفس الطبيعة البشرية التى لباقى لناس ٠٠ والكتاب المقدس لا يكلمكم من وحى الخيال ، و لا يصور لكم قديسين لهم أجنحة من نور ونار ، ويطيرون فى السماء ، ويسبحون فى أجواء القداسة العليا

ولكن بعمل الله القوى الذى عمل فيهم ، بنعمته التى دخلت إلى قلوبهم ، بروحه القدوس الذى أرشدهم وقواهم وأشترك فى العمل معهم ٠٠ بهذا قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه ٠٠ وتغيروا

بطرس الذى خاف ذات مرة أمام جارية وأنكر المسيح ، وتحول إلى القديس بطرس الجبار العنيف ، الذى وقف أمام ولاة وملوك ، وقال للشيوخ ولرؤساء الكهنة " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢١) ٠٠ جاهر بالإيمان ، وتعب لأجله ، وصار شعلة من نار ، وصلب ، ومات شهيداً

ما هذا يا أبى القديس بطرس ؟ يجيب : لقد كنت ضعيفاً مثلك ، وخائفاً مثلك ٠ لكن الله عمل فى ضعفى ، وروحه قوانى وشددنى ، فشهدت له أمام الكل ٠٠

إذن ، حينما نجد القديس بطرس الرسول قد ملأ الدنيا تبشيراً ، لا نقول إنه من طبيعة أخرى سامية غير طبيعتنا ٠٠ كلا ، إنه مثلنا ٠ ولكنه فتح قلبه لعمل الله ، وسلم مشيئته لمشيئة القدوس

وإن رأينا إنساناً مثل القديس بولس الرسول ، قد تعب أكثر من جميع الرسل ، وكرز فى كل أرجاء الأرض ، فلا نظن أنه قد ولد هكذا ٠٠ وإنما هو نفسه يعترف ويقول : " أنا الذى كنت من قبل مجدفاً وضطهداً للكنيسة ، ولكننى رحمت لأننى فعلت ذلك بجهل " (١تى ١ : ١٣) ٠٠

وإن عرفنا جباراً من جبابرة الروح والرعاية مثل القديس موسى النبى ، الذى أجرى الله على يديه معجزات فى أرض مصر ، وشق البحر بعصاه ، وضرب الصخرة ففجر منها الماء ، أنزل من السماء المن والسلوى ٠٠ فلا نظن أنه وقد ولد هكذا ٠٠ بل أنه عاش فى مبدأ حياته كأمير فى قصر فرعون ، بكل الله ما تحمل الإمارة من رفاهية وتنعم وكبرياء ، متعداً بنفسه ، يضرب المصرى فيقتله ٠ ولكن الله أمسك به ، علمه طريقه ٠ أمسكه " إبن النجار " ، بالفارة والمنشار ، وأزال نتوءاته وصنفره ، وعمل فيه ، حتى صار قديساً عظيماً لا نستحق التراب الذى يدوسه بقدميه ٠٠ " وصار الرجل موسى حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣)

هذه عينات من الناس ، أخذها الله كما هى ، و عمل فيها ، وعمل معها ، صارت له ، وأخذت من بهائه ، ومن قوته ٠

وبالنسبة إليك ، لا تشابه القديسين فى ضعفاتهم ، وإنما فى طهرهم ٠

لا تتهاون معتذراً بأن القديسين أنفسهم قد أخطأوا ، إنما أنظر إلى توبتهم وأعماقها العجيبة ، وإلتصاقهم الطبيعى بالله ٠

***وحينما نقول إنهم أخطأوا ، فلا نعنى أن حياتهم كلها كانت خطية ٠ بل السقطات كانت الوضع العابر الطارئ فى حياتهم ٠ أما القداسة فكانت الوضع الطبيعى الدائم ٠**

إذا عرفنا أن داود فى وقت ما ، قد زنى وقتل ٠ فليس معنى هذا أن حياته كلها كانت زنى وقتلا وليس معنى هذا أن يتطاول بعض الوعاظ على هذا القديس العظيم ، ولا يتحدثون إلا عن خطيئته بلون من الإستصغار !! وينسون أنه رجل الصلاة والتسبيح والمزامير ، رجل المزمار والقيثار والعشرة الأوتار ، رجل الإيمان والوداعة ، الذى قال عنه الرب بنفسه " فحصت قلب داود ، فوجدته حسب قلبى

إن الشر لم يكن طبيعة فى هذا البار ، الذى حل عليه روح الرب ، والذى هزم جليات ، وإحتمل شاول وغفر لشمعى بن جيرا ، وسبح للرب تسابيح جديدة ٠٠ إنما هى صفات طارئه ، سمح بها الرب ليعطى قديسه إنسحاقاً ودموعاً ، ويصيره درساً فى التوبة ، كما كان درساً فى الصلاة ، وفى الوداعة ، وفى الشجاعة ٠

وبنفس الوضع حينما نذكر خوف أبينا إبراهيم ، وقوله عن إمراته سارة إنها أخته ٠٠ لا ننسى أبداً إيمان الرجل ، ونسكه وشجاعته ، وكرمه ، وطاعته للرب حتى رفع السكين ليقدم وحيده المحبوب محرقة ٠٠ ولا ننسى وتركه لأهله وعشيرته وسعيه وراء الرب

*** كذلك فى حديثنا عن قديسى الكتاب ، ليس المهم نقطة البدء فى حياتهم ، فربما بدأ البعض منهم كأشخاص عاديين ٠ إنما المهم هو ما إنتهوا إليه ٠٠٠**

لقد كانت حياة هؤلاء القديسين ، مجرد مجال عمل فيه الله ٠ نحن نهتم بهذه النقطة بالذات فى حياة قديسى الكتاب ٠٠ يهمنا جداً دور الله فى حياتهم ٠ كيف كانت معاملة الله لقديسيه ، وكيف كانت معاملته للأشرار ؟ ومعاملته للساقطين والتائبين وللقائمين ٠٠

إن الكتاب هو سجل جميل لمعاملة الله مع الناس ٠٠

ومن واقع هذه المعاملة نأخذ فكره عن صفات الله الجميلة ، وعن حبه وطول أناته ، وحكمته وصلاحه ، وقوته وقدرته ٠٠ ونأخذ من كل هذا درساً لأنفسنا ومجالاً لتأملاتنا ٠

***وفى سير قديسى الكتاب ، لا نريد أن ندرس تاريخاً ، إنما أن نمتص حياة ٠٠**

فالكتاب المقدس لم يقصده به أن يكون كتاب تاريخ ، إنما هو كتاب إيمان ، وكتاب حياة ٠ وهـذا هو الفرق بين دراستنا للكتاب ، ودراستنا لكتب التاريخ ٠ التاريخ يذكر أحداثاً ، ولكننا هنا لا نفحص الأحداث ، بقدر ما نفحص حالة القلب ٠

إننا من خلال الأحداث ، ندرس النفس البشرية ، فى كل مشاعرها وأحاسيسها وتصرفاتها ٠ ندخل إلى أعماق النفس ، وندرس حروبها الروحية ، وندرس علاقاتها مع الله ومع الناس ومع ذاتها ٠

ومن كل ذلك نتعلم ٠٠

والكتاب المقدس صريح جداً فى كشف النفس البشرية ٠ ونحن نريد أن نتناول هذه النفوس ، لكى نحللها ، ونفهمها ، ونرى فيها صورتنا نحن ، وما ينبغى أن نفعل ٠ وفيما ندرس هذه الشخصيات ، ندرسها لكى نحيا نحن ٠٠

نحيا من خلال حياة هؤلاء ، ونستفيد من تجاربهم ، ومن خبراتهم ، ونستفيد من سقوطهم أيضاً ومن قيامهم ٠ وإن تعرضنا لأخطائهم ، فنحن لا ندينهم عليها ٠ إنهم آباؤنا ومعلمونا ، بل هم أيضاً مثلنا العليا ٠ وهم أحباء الله الذين نرجو شفاعتهم وبركتهم ٠٠٠

والأخطاء التى نكشفها ، إنما تكشف لنا ضعف طبيعتنا ، وليس ضعفاً لأولئك القديسين الذين لا نستحق أن نقبل التراب الذى داسوه بأقدامهم الطاهرة ٠٠

بركة هؤلاء جميعاً ، فلتكن معنا ، آمين ٠٠

—1—

آدم وحواء

أولا : بهاؤهما الأول
ثانيا : ٢٧ خطية وقعا فيها
ثالثاً : نتائج هذه الخطايا وعقوباتها

آدم وحواء

يحسن بنا أن نبدأ تأملاتنا فى شخصيات الكتاب بأبوينا الأولين ، آدم وحواء ، ونرى كيف خلقا وكيف كانا ، وميزات طبيعتهما الأولى فى عمق بهائها ومجدها ، وكيف قادهما الضعف البشرى ، وتطـور بهما من سقطة إلى أخرى ، حتى كثرت خطاياهما جداً ، وفسدت طبيعتهما البشرية ٠

بهاؤهما الأول

١-كانا مخلوقين ، غير مولودين ، لم يرثا فساداً من طبيعة سابقة :

آدم وحواء ، لم يولدا من دم ، و لا من مشيئة جسد ، و لا من مشيئة رجل ٠٠ لم يأتيا من زرع بشر ، ولم يرثا طبعاً فاسداً من طبيعة سابقة عليهما ، إنما خلقهما الله ، شيئاً جديداً لم يتلوث مـن قبل ، وبالطريقة التى أرادها الرب لهما ٠

٢-خلقهما الله على صورته ومثاله ٠ ولا يمكن أن يوجد أعظم من هذا ، أن يكون آدم وحواء على شبه الله ٠٠

وفى ذلك يسجل سفر التكوين " وقال الله نعمل الإنسان علـى صـورتنا كشـبهنا ٠٠ فخلـق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ٠ ذكراً وأنثى خلقهم " (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) ٠

وما أكثر تأملات الآباء القديسين وتفسيراتهم ، الخاصة بخلق أبوينا الأولين على صورة الله ٠٠

* قيل إن الله خلقهما على صورته فى البر والقداسة ، فى وضع فائق للطبيعة ٠٠ وهكذا كان كلاهما باراً بلا خطية حينما خلقهما الله متسربلين بالقداسة ٠٠

* وقيل على صورته فى الجمال والبهاء والمجد ، أى أعطاهما قبساً من بهاءه ، فكانا فى منتهـى الجمال ، جسدا ونفسا وروحا ٠٠وقيل إن الله خلق الإنسان على صورته فى الخلود، اذ وهب لهمـا خالدة ، نفخها فى أنف آدم ، نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية (تك ٢ : ٧) ٠

* وقيل إن الله خلقهما على صورته فى حرية الإرادة ٠

* وقيل أيضاً إن الإنسان خلق على صورة الله فى التثليث والتوحيد : ذاتاً ، لها عقل ناطق ، ولهـا روح٠ والذات والعقل والروح كائن واحد : كالذات الإلهية ، لها عقل ، ولها روح ، والثلاثة كـائن واحد ٠٠ إنما الله غير محدود فى كل شئ ، والإنسان محدود ٠٠

* وقيل إن الله خلقهما على صورته فى الملك والسلطة ٠ فكانا ملكين على الآرض ، وممثلاً للخليقة الأرضية كلها ٠٠

* وقيل إن الله كان يعرف مسبقاً بسقوط الإنسان ، وبأنه سيخلى ذاته ويتجسد لكى يخلصه ٠ فخلق هذا الإنسان على الصورة التى كان الله مزمعاً أن يتجسد بها ، على شبهه ومثاله ٠٠

٣-وكان آدم وحواء يتصفان بالبساطة والبراءة :

ما كانا يعرفان الشر إطلاقاً ٠ كانا يعرفان الخير فقط ، و لا شئ سوى الخير ٠ لذلك لـم يفكـرا وقت التجربة أن الحية يمكن أن تخدع وأن تكذب ٠ فعبارات الكذب والخداع لم تكن موجـودة فـى قاموسها فى ذلك الحين ٠

وفى بساطتهما وبراءتهما ، ما كانا يعرفان بعضهما من الناحية الجنسية ، بل كطفلين ساذجين – ما كانا يفهمان الفروق العضوية فى تركيب جسديهما ٠ وكما ذكر سفر التكوين " وكانا كلاهما عريانين ، آدم وإمراته ، وهما لا يخجلان " (تك ٢ : ٢٥) ٠

٤-وقد باركهما الله معاً ، بنفس البركة ، وأعطاهما سلطاناً على الأرض كلها بجميع كائناتها ، نفس السلطة لكليهما ..

وفى ذلك يذكر سفر التكوين " وقال الله نعمل الإنسان كصورتنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى الدبابات التى تدرب على الأرض " (تك ١ : ٢٨) . وهكذا عاش الإثنان ، ولهما هيبة وسلطة ، على الأرض ومخلوقاتها . ما كانا يخافان الوحوش أو دبيب الأرض ، بل عاشا وسط الأسود والنمور والفهود والحيات والثعابين وما أشبه ، فى حياة من الألفة والسلام ، لهما سلطان على كل هولاء . ترى الوحوش فيهما صورة الله فتعاملهما بالمهابة اللائقة بهما .

وآدم هو الذى سمى كل الحيوانات وكل ذوات الأنفس بأسمائها " وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية ، فهو إسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء ، وجميع حيوانات البرية " (تك ٢ : ١٩ ، ٢٠) .

٥- وكان آدم وحواء إجتماعيين ، يتعاونان معاً ..

حينما كان آدم وحده فى الجنة ، وجد التعاون والألفة بين جميع حيوانات الأرض " وأما لنفسه ، فلم يجد معيناً نظيره " (تك ٢ : ٢١) . وصعد هذا الإشتياق ، أو هذا الإحتياج إلى الله " فأرقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام . فاخذا واحدة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحماً . وبنى الرب الإله الضلع التى آخذها من آدم إمراة ، وأحضرها إلى آدم " (تك ٢ : ٢١ ، ٢٢) .

وشعر آدم بهذه الرابطة القوية التى تربطه بحواء ، إنها جزء منه ، بينهما رابطة دم ولحم وعظم . " فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ، لحم من لحمى . هذه تدعى إمرأة ، لأنها من إمرء أخذت " (تك ٢ : ٢٣) .

٦- ونحن نعجب من هذه المعرفة التى كان لآدم :

* كيف عرف أن حواء ، قد أخذت من لحمه ومن عظامه ، بينما كان فى سبات .. ؟ ! هل أخبره الله بما حدث ، فى ظل علاقة المحبة بينه وبين الله ؟ أم كان هذا اللون من المعرفة ، من ضمن مواهبه فى ذلك الوقت ، الذى خلق فيه بوضع فائق للطبيعة .. ؟ !

* كما أننا نعجب بأدم إذ أنه أعطى حواء إسماً له دلالة وله عمق ، فسماها إمرأة ، أنها من إمرء أخذت .

وفيما بعد .. بعد الخطية ، حينما ولدت إمراته إبناً ، أعطاها إسماً آخر : " ودعا آدم إسم إمراته حواء ، لأنها أم كل حى " (تك ٣ : ٢٠) . إنها حكمة إتصف بها آدم فى إطلاق الأسماء . ولعله إستخدام هذه الحكمة ذاتها فى تسمية الحيوانات والطيور وكل ذوات الأنفس الحية .

ليت أحد المتخصصين فى علوم اللغات ، يبحث مع بعض المتخصصين فى علوم الحيوان ، السر الذى يكمن وراء أسماء الحيوانات ، والحكمة التى بها أطلق آدم كل إسم على صاحبة ..

* كان آدم أيضاً يعمل فى الجنة ويحفظها (تك ٣ : ١٥) . فمن أين أوتى آدم هذه المعرفة بشئون كل النباتات الموجودة فى الجنة ، أتراه أيضاً لون من الكشف الإلهى ، أو كانت معرفة آدم من نوع فائق لمعرفتنا ؟!

٧-وقد خلق آدم وحواء بعد أن أعد الله لهما كل شئ .

خلقهما فى اليوم السادس ، كقمة لمخلوقاته كلها . وخلقهما بعد أن خلق من أجلهما كل شئ كما فى القداس الغريغورى . من أجلهما أعد السماء لهما سقفاً ، ومهد لهما الأرض كى يمشيا عليها . رتب لهما قوانين الفلك ، ووضع لهما الشمس لضياء النهار ، القمر لإضاءة الليل . ونظم لهما الطبيعة وأجواءها ، وخلق لهما النبات لطعامهما ، والحيوانات لخدمتهما . وأخيراً خلقهما ، ليتمتعا بهذه الطبيعة كلها .

وعندما تنتهى فترة إقامة البشرية على الأرض ، ويأتى الرب على السحاب ، ليأخذ باقى البشر ، ويسكن الإنسان فى الأبدية ، حينئذ سيزول هذه الأرض وهذه السماء اللتان خلقهما الله ، لراحة الإنسان ههنا ٠ إذ سيزوا غرضهما بإنتقال الإنسان إلى جوار الله فى أورشليم السمائية

ما أعظم قيمة هذا الإنسان ، الذى من أجله خلق الله كل شئ ٠ آدم صورة الله ، أعظم كائن على الأرض فى أيامه ، نائب الله ، المسلط منه على كل الخليقة الأرضية ٠٠

٨-وكان آدم وحواء سعيدين ، يعيشان فى جنه :

خلق الله جنه جميلة ، لكى يحيا فيها هذا الإنسان سعيداً " غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ٠ ووضع هناك آدم الذى جبله " (تك ٢ : ٨) ٠ ويشرح سفر التكوين بعض تفاصيل هذه الجنة ، فيقول

" وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ٠ وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة " (تك ٢ : ٩ ، ١٠)

كان آدم سعيداً هو وحواء داخل الجنة ٠ لم يكن هناك ما ينقصهما ، ولم يكن هناك ما يعكر صفوهما كان كل شئ حولهما جميلاً وعاشا فى اليوم السابع ، اليوم قدسه الرب ، واتخذه للراحة ، له وهما ٠

وهذه الطبيعة الجميلة الهادئة النقية التى خلقها الله لآدم وحواء ، يقول عنها الكتاب " ورأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً " (تك ١ : ٣١) ٠

٩- وعاش آدم أيضاً فى عشرة الله ٠٠

لم تكن سعادة هذا الإنسان الأول ، من مجرد خلقة فى طبيعة ممتازة ، أو من سلطته على هذه الطبيعة أو من حياته فى جنة جميلة ، إنما لعل السبب الأول فى سعادته ، أنه كان يحيا فى عشرة الله ٠٠ الله كان يظهر له ، وكان يكلمه ، وكان يباركه ، وكان يعلمه بنفسه ويقدم له الوصايا النفافعة له ٠ كانت له علاقة مباشرة مع الله ، يشرحها سفر التكوين " نفخ فى أنفه نسمة حياة " " وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن " وأحضر " الحيوانات " إلى آدم ليرى ماذا يدعوها " " وباركهم الله وقال لهم : أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض " " وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ٠ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها " ٠

١٠-وقد عاش آدم وحواء فى الجنة نباتيين ٠٠

*** إن أكل اللحوم لم يسمح به الله إلا فى أيام نوح ، بعد خروجه وأسرته من الفلك ،** إذ يذكر سفر التكوين إن الله بارك نوحا وبنيه بنفس بركة آدم وحواء ، تقريباً ، وقال لهم " كل دابة حية تكون لكم طعاماً ٠ كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع ، غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه " (تك ٩ : ٣ ، ٤) أما ما قبل فلك نوح ، فلم يكن مصرحاً بغير النبات ٠٠ وهذا ما يذكر سفر التكوين :

* لما خلق الله آدم و حواء ، سمح لهما بأكل الفاكهة والبقول ، أى ثمار الأشجار ، وذلك بقوله " إنى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذراً على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذراً ، لكم يكون طعاماً " ٠ " ولكل حيوان الأرض ، وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية ، أعطيت كل عشب أخضر طعاماً ، وكان كذلك " ٠ (تك ١ : ٢٩ ، ٣٠) ٠

*** إذن لم يكن الإنسان وحده نباتياً فى الجنة ، وإنما حتى الحيوانات أيضاً بكل أنواعها كانت نباتية :** للإنسان الثمار والبقول ، وللحيوان العشب الأخضر ٠ لم يكن هناك إفتراس ٠ لا الإنسان يأكل الحيوان ، ولا الحيوان يأكل الإنسان ، و لا الحيوان يأكل بعضه بعضاً ٠

*وبعد السقوط فى الخطية : لما حدث أن الإنسان ، كالحيوان إشتهى أن يأكل ، أعطاه الله الطعام المخصص للحيوان ، عشب الأرض ٠ فقال الرب للإنسان بعد السقوط " تأكل عشب الأرض " (تك ٣ : ١٨) ، و كان العشب مخصصاً للحيوان من قبل (تك ١ : ٣٠) ٠

بقى الإنسان بعد السقوط نباتياً ، يأكل ثمار الشجر والبقول والعشب ، بعد طرده من الجنة ، دون أن يأكل اللحوم ، التى لم يصرح له بعدها ، إلاَّ بعد فلك نوح (تك ٩ : ٣) ٠

*ومع ذلك كانت الأعمار طويلة جداً ، فى تلك الفترة من آدم حتى نوح ، كما يشرح الإصحاح الخامس من سفر التكوين :

عاش آدم ٩٣٠ سنة (تك ٥ : ٥) ، وعاش نوح ٩٥٠ سنة (تك ٩ : ٢٩) ٠ وعاش متوشالح ٩٦٩ سنة (تك ٥ : ٢٧) ، وهو صاحب أطول عمر فى كل أجيال البشرية وكان نباتياً ٠

- **لماذا إذن صرح الله بأكل اللحوم بعد فلك نوم ؟**

يقول الكتاب " قبل الطوفان مباشرة " " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض " (تك ٦ : ٥ ، ٦) وهكذا أغرق الرب العالم بالطوفان ٠ وأبقى الرب بقية من البشرية ٠ وسمح لها بأكل اللحوم ، لأن مستوى البشر لم يكن يحتمل غير هذا ٠٠

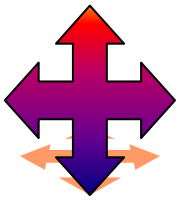

خطايا عديدة لأبوينا الأولين

كانت طبيعتهما سامية جداً ، ولكنهما كانا يتمتعان فى نفس الوقت بحرية الإرادة ، وبالحرية توجد إمكانية السقوط ٠

العجيب أن كثيراً من الكتاب يتحدثون عن خطية آدم أو حواء ، كما لو كانت خطية واحدة لا غير !! بينما وقع أبوانا فى عديد من الخطايا ، نذكر منها هنا ٢٧ خطية ، بنوع ٠٠ التحليل ، لكى نتعلم نحن أيضاً التدقيق فى محاسبتنا لأنفسنا ٠٠ فما هى هذه الخطايا ؟

١ـ العصيان أو المخالفة

وهذه هى الخطية الواضحة للكل ٠ إن الله أمر أبانا آدم قائلاً : " من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ٠ وأما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ٠ أنك يوم تأكل منها موتاً تموت " (تك ٢ : ١٦ ، ١٧)٠ الوصية واضحة ، وقد سمعها آدم بنفسه من فم الله ٠ وكانت تحفظها حواء (تك ٣ : ٢) ٠ ومع ذلك خالفها آدم وخالفتها حواء ٠

لو لم ينذر الله آدم وحواء من قبل ، لقلنا إنها كانت خطية جهل ٠ ولكن من الواضح أنها خطية معرفة ٠

٢ـ المعاشرات الرديئة

بدأت سلسلة الخطايا التى وقع فيها آدم وحواء بخطية " المعاشرات الرديئة التى تفسد الأخلاق الجيدة " (اكو ١٥ : ٣٣) ٠ فجلست أمنا حواء مع الحية " وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله " (تك ٣ : ١) ٠

وحتى إن كانت أمنا حواء ، بنقاوة قلبها وبساطتها ، لا تدرك ما فى الحية من خبث ، فإنه كان يجب عليها أ، تتنبه ، حينما أخذت الحية تكشف أوراقها ، ويقول كلاماً عكس ما قاله الله نفسه لهما

ولكن أمنا القديسة بدلاً من أن تتنبه ، وقعت فى خطية الإنقياد ، ووقعت أيضاً فى خطية الشك ٠ وقادتها هاتان الخطيتان إلى سقطات أخرى كثيرة ٠

٣ـ خطية الشك

قالت الحية فى خبث وهى تبذر بذور الشك " أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟! " ٠٠ أحقاً أن الله الرحيم الطيب يمنعكما عن الأكل من كل الشجر ؟ وماذا يضيره لو جعلكما تأكلان ؟ أى شر فى هذا ؟

فلما أجابت المرأة حسناً ، أخذت الحية تتعمق فى إلقاء بذور الشك ، فقالت " كلا ، لن تموتا ، بل الله عالم إنكما يوم تأكلان تتفتح أعينكما ، تكونان مثل الله عارفين الخير والشر " ٠٠ إذن الله خائف من أن تضيرا مثله ، لذلك يمنعكما ٠٠ ليس حباً منه لكما ، أو حرصاً عليكما ، إنما خشية من المنافسة ٠٠

هذا هو الشك الذى ألقته الحية فى نفس حواء :

الشك فى صدق كلام الله ، والشك فى حب الله للبشر ، بل الشك أيضاً فى إنذار الله لهما بالموت ٠

فهما - حسب كلام الحية - لن يموتا ، بل ستتحسن أحوالهما ٠٠ وإستسلمت حواء إلى هذا الشك ، فسلمها إلى خطيئة أخرى :

٤ـ خطية الأنقياد

إنقادت - وهى صورة الله ومثاله - إلى الحية ومشورتها ٠ فبدلاً من أن تنتهر الحية على التشكيك فى كلام الله ، أطاعتها ، وبهذا فقدت شخصيتها أمام الحية ، بينما كان الله قد أعطاها سلطاناً على جميع حيوانات الأرض وعلى ما يدب على الأرض ، فكانت الحية بذلك تحت سلطانها ، وكانت تملك أن تخضعها ، حسب قول الرب عن هذه الكائنات وأخضعوها " (تك ١ : ٢٨) ٠ فبدلاً من إخضاعها ٠ خضعت لها ٠

ونفس هذا الإنقياد الخاطئ ، الذى وقعت فيها حواء ، حدث بالنسبة إلى أبينا آدم من جهة إمرأته حواء ، بينما الرجل رأس المرأة ٠ وكان يجب على آدم أن يقود حواء إلى الخير ، ويرفض أن يأكل الثمرة المحرمة من يدها ، ولكنه إنقاد هو أيضاً وأطاع ٠ ووقع فى نفس ضعف الشخصية الذى وقعت فيه حواء ٠

لذلك فإن الله لم يقبل من حواء عبارة " الحية أغرتنى " ٠ ولم يقبل من آدم عبارة " المرأة أعطتنى "

كان يجب على كل منهما أن يكون قوى الشخصية ، ولا يقبل من غيره أية نصيحة أو أى توجيه ضد وصية الله الواضحة ٠ وكان إنقياد حواء للحية ، يجمل داخله أخرى هى :

٥ـ ضعف الإيمان

إنقياد حواء للحية ، معناه انها قبلت كلامها أكثر من كلام الله ، أو قل إنها صدقت الحية وكذبت الله ٠ الله يقول عن ثمر الشجرة " لا تأكلا منه و لا تمساه ، لئلا تموتا " (تك ٣ : ٣) ٠ والحية تقول " كلا ، لن تموتا " ٠ والمرأة تقبل كلام الحية ، وتميل إليه بقلبها ، تترك كلام الله ، لا تخشاه ، و لا يتعبها إنذاره ٠٠

إذن فهذا ضعف إيمان بالله وبكلمته وبإنذاره ٠ بل هو عدم إيمان بصدق الله ٠٠ وضعف الإيمان هذا ، قادها إلى خطية أخرى وهى :

٦ـ الاستهانة وعدم مخافة الرب

بدأت تستهين بحكم الله وبتهديده وعقوبته ، ولم تخف إطلاقاً من أن تمد يدها وتأخذ ، كما لو كانت عبارة " موتاً تموتاً " لا تهز لها جفناً ، و لا تحرك ضميرها أو قلبها ٠٠ !

على أن إغراء الحية وحديثها ، قاد المرأة إلى خطية أخرى ، دنست قلبها الطاهر ، وهى خطية الشهوة ٠

٧ـ خطية الشهوة

نظرت المرأة إلى الشجرة ، فإذا هى " جيدة للأكل ، وبهجة للعيون ، و إذا الشجرة شهية للنظر " ٠٠ فإشتهتها ٠٠ كانت شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الجنة ، وربما كانت حواء تمر عليها كل يوم وتراها ٠ وكانت نظرتها إليها بسيطة ، لا تحمل شهوة ٠٠

٨- خطية الكبرياء

" يوم تأكلان منها تتفتح أعينكما وتصيران مثل الله ٠٠" ٠ هنا الإغراء الجبار " تصيران مثل الله " أو تصيران إلهين ٠٠!! إن كان الأمر هكذا ، فلماذا نرضى ونكتفى بالمستوى البشرى ؟ ! ولماذا نأخذ من الله موقف الطاعة ، بدلاً من موقف المساواة ؟! وعصفت شهوة الألوهية بهذه الإنسانة المسكينة فدخلتها الكبرياء ٠

وأستطاعت هذه الكبرياء أن تحطمها ، كما حطمت الشيطان من قبل **لأنه أراد أن يقع الإنسان فى نفس السقطة التى وقع فيها ٠٠** وماذا كانت سقطته ؟ يحكيها سفر أشعياء النبى فيقول :

" كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم ؟ وأنت قلت فى قلبك : أصعد إلى السموات ، أرفع كرسى فوق كواكب الله ٠٠ أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى ٠ ولكنك إنحدرت إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب " (أش ١٤ : ١٢ – ١٥)

إن عبارة " أصير مثل العلى " التى قالها فى قلبه ، هى نفس عبارة " تصيران مثل الله " التى أغرى بها حواء ٠٠

إن الكبرياء هى التى أسقطت الشيطان ، وهى التى أسقطت الإنسان الأول ٠ وكما قال أحد القديسين : إن حواء إشتهت مجد الألوهية ، ففقدت ما كان لها من مجد البشرية ٠

على أن هذه السقطة ، وهذه الكبرياء ، كانت تحمل فى داخلها شهوة أخرى ، أو خطية أخرى ، و هى

٩- المعرفة المخربة

" تصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر " " تنفتح أعينكما " ٠٠ لقد قدم الشيطان للإنسان هذا الإغراء ، إغراء المعرفة ٠٠ إلى متى تظل مقفل العينين لا تعرف ؟ ليتك تأكل لكى تنفتح عيناك المغمضتان ، وتذوق الدنيا وتعرفها ٠٠

إلى متى يغلق الله عليكما فى هذه البساطة أو السذاجة ، التى يسمونها النقاوة أو البراءة !! فتظلان هكذا لا تدريان و لا تفهمان الجمال الموجود فى الدنيا ، واللذة الموجودة فى الثمرة ؟!

أية معرفة يقصدها الشيطان ؟ لقد وهبهما الله فضل معرفته ، وجعلهما يعرفان الخير والبر ويذوقان ما فى هذه المعرفة من لذة ٠ يجيب الشيطان ‘نهما حرما من معرفة الخير و الشر ٠

وهنا تبدو الخدعة الكبرى التى إنطلق على حواء ٠٠ فما هى ؟

إنهما يعرفان الخير فقط ٠ والشيطان يريد لهما الآن " معرفة الخير والشر " ، أى أن تضاف إلى معرفتهما النقية ، معرفة الشر ٠٠!

يا للخدعة الخبيثة ، التى قال عنها الحكيم " الذى يزداد علماً ، يزداد غماً " (جا ١ : ١٨) ، يقصد المعارف التى تشوه نقاوة الإنسان ، أوتر بك سلامة فكره ٠٠

وأكل الإنسان من شجرة المعرفة ، فصار جاهلاً ٠٠ لأنه أخذ معرفة الشر إلى جوار معرفة الخير ، وماذا أصابه أيضاً ؟

١٠ـ مشكلة الثنائية وفقدان الثقة

ومن ذلك اليوم، والإنسان يعيش معذباً، يسبح فى بحر العالم، يحيطه شاطئان :

وللأسف ، فإن معرفة الشر عند كثيرين ، أرتبطت بشهوة الشر ، أو على الأقل أرتبطت بالصراع بين الخير والشر ٠ وعاش الإنسان حياته فى هذا الصراع ، وتشوهت أفكاره بمعرفة الشر ، وجلبت له هذه المعرفة الظنون والأفكار ، ووضعت فى عقله الواعى أو عقله الباطن صوراً متعبة ، تظهر أحياناً كشكوك وظنون ، وأحياناً كإدانة للآخرين ، أو كإشمئزاز من وضع معين ، أو كخوف من سقوط ٠٠

أو أرتياب فى نقاوة ٠

ولما أكلت حواء من شجرة المعرفة هذه ، بدأت ترى آدم رجلاً يختلف عن أنوثتها ٠ وبدأ آدم يراها أنثى تختلف عن رجولته ٠ وبدأ الجنس يفتح أبوابه ٠

وكان أول باب هو الخجل ٠ وأحس آدم وحواء أنهما عريانان ، فكرا كيف يستران عريهما ٠٠ وفقد الإثنان بساطتهما الأولى ٠٠

ما كان أغناهما عن هذا كله ، لو أنهما لم يطلبا هذه المعرفة ، أو على الأقل طلبا المعرفة من الله وحده ٠ ولكنهما وقعا فى الخطية أخرى وهى :

١١ـ طلب المعرفة من غير الله

كان الله هو المعلم الأول الوحيد للإنسان ، يعطية من المعرفة ما يفيده وما يبقى على نقاوته ٠ ثم بدأ الإنسان يتخذ له مرشداً غير الله ، يشير عليه بما يفعل ، ويعطية معرفة أخرى ٠ وكان هذا المرشد للأسف ، هو الشيطان الذى دخل الحية ، وأرشد الإنسان إلى ما فيه هلاكه ٠٠

وشهوة المعرفة ، بعيدة عن الله ، ومن غير الله ، ملأت الإنسان بمعارف ضيعته ٠ ومازال الإنسان يسعى إلى المعرفة منذ أكل من شجرة ٠ وفى كل يوم تنفتح عيناه بالأكثر ٠٠ وتجمع له الحواس أحياناً ما يضره ٠٠

ويستمر فى ثنائية المعرفة ، التى تشمل الخير والشر ، إلى أن يهب له الله فى الأبدية إكليل البر ، فيتقيأ ما أكله من معرفة الخير والشر ، ويعود لا يعرف غير الخير وحده ، وينسى فى النعيم الأبدى ما كان قد عرفه فى العالم من شر ٠ يمحو الله من ذاكراته ومن علمه ومعرفته كل معرفة الشر فى الإنسان الجديد الذى يقوم من الأموات فى نقاوة لا تعرف شراً ٠

ويصير الجميع متعلمين من الله (يو ٦ : ٤٥) ٠ ولا يعود الشيطان يعلم ويرشد يلقى أفكاره فى عقول الناس ٠٠ بل فى الأبدية سنأخذ معرفة بديلة ، هى معرفة الله الذى يكشف لنا ذاته ٠ وكما قال ربنا يسوع المسيح لله الآب " هذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحده ، ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو ١٧ : ٣) ٠

حينئذ يكون الله هو مصدر معرفتنا ، وقمة معرفتنا ، وتبطل مشورة الشيطان الذى أسقط أمنا حواء فى القديم ، فأكلت ٠٠وظهرت فى أكلها خطيئة أخرى وهى :

١٢- حفظ الوصية عقلا لا عملاً

كانت حواء تحفظ الوصية حفظاً عقلياً ! لذلك عندما سألتها الحية " أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ " وصححت لها حواء منطوق الآية ، وذكرت تفاصيلها ، فقالت للحية " من ثمر شجر الجنة نأكل ٠ وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة ،فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا " ٠ إنه حفظ دقيق لم يكتف بالمنع عن الأكل ، بل عن اللمس أيضاً ٠٠

والعجيب أنها فى نفس الوقت الذى ذكرت فيه الوصية بهذه الدقة العجيبة ، عادت وكسرت الوصية ، ومدت يدها وقطفت وأكلت ٠٠! لقد حفظت الوصية عقلاً لا عملاً

إنها تذكرنى بالشاب الغنى الذى كان يحفظ الوصايا ، وقال عنها للسيد الرب " هذه حفظتها منذ حداثتى " ٠ وفى نفس المناسبة مضى حزيناً ، لأنه كان يعبد إلهاً آخر هو المال ، بينما تقول الوصية الأولى " لا تكن لك آلهة أخرى أمامى " (خر ٢٠ : ٣) ٠

وفى الأكل من الشجرة ، وقعت حواء ، كما وقع آدم أيضاً فى خطية أخرى وهى :

١٣- الإنحدار إلى المستوى الجسدانى

الأكل ، شهوة الأكل ، والنظر إلى الشجرة على أنها " جيدة للأكل " ٠٠ كلها أمور جسدانية إنحدر إليها آدم وحواء ، بأسباب نفسانية ، سقطا بها عن المستوى الروحى ٠

ولذلك أعتبر البعض أن الوصية الأولى التى أعطيت للإنسان ، كانت وصية صوم ، تشبه صومنا فى هذه الأيام ، نأكل من الكل ماعدا نوع واحد وهو الأطعمة الحيوانية ٠ كذلك أعطى للآدم وحواء أن يأكلا من الكل ماعدا نوع واحد هو ثمر هذه الشجرة ٠

ولكن آدم وحواء كسرا هذا الصوم ، وأكلا من هذا الصنف المحرم ٠ وبالأكل سقطا من المستوى الروحى إلى المستوى الجسدى ٠

وبهذا السقوط ، إستمرت معهما حروب الجسد فيما بعد ٠ حتى أن بعض العقوبات التى فرضها الله عليهما ، كانت تحمل إشارة إلى هذا المستوى الجسدانى الذى هبطا إليه :

قال للمرأة " تكثيرا أكثر أتعاب حبلك ٠ بالوجع تلدين أولاداً " ٠

وقال لآدم " أنك سمعت لقول إمراتك ، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ٠ لا بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ٠٠ بعرق جبينك تأكل خبزاً ٠٠ وتأكل عشب الأرض " (تك ٣ : ١٦ –١٩)

١٤- عدم القناعة

الله أعطى أبوينا الأولين أن يأكلا من كل شجر الجنة ، ماعدا واحدة ٠ ولا شك أنه كانت توجد أثمار كثيرة جداً فى الجنة ، بل كان فيها كل نوع ثمر ٠٠ ولكن هذا كله لم يقتنع به آدم وحواء ولم يكفيهما ، بل أرادا الأكل من هذا النوع الواحد الناقص ٠ وهذا يدل على عدم القناعة ٠

ومازال مرض عدم القناعة موروثاً حتى الآن " العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع " وكل الأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس بملآن " (جا ١ : ٧ ، ٧)

على أن حواء فى أكلها من الثمرة المحرمة ، لم تقع فقط فى كل هذه الخطايا ، إنما أضافت إليها خطية أخرى وهى :

١٥- اعثار لآخرين

لم يقتصر أمرها على كسر الوصية والأكل من الشجرة ، وإنما يقول الكتاب إنها " أكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل " الخطأ ، وقادته إلى كسر الوصية و ، وكانت سبباً فى ضياعه ، ووضعت أول بذرة للعثرة ، وإعثار الأخرين ..

والعجيب أن البعض يظنون أن خطية آدم وحواء هى مجرد الأكل من الشجرة ! فعلى الرغم من كل الخطايا التى ذكرناها ، توجد خطايا أخرى كثيرة أرتكبها أبوانا بعد الأكل من الشجرة .

فما هى هذه الخطايا

١٦- تغطية الخطية بأوراق التين

لما أكلا " إنفتحت أعينهما ، وعلما آنها عريانان " ، إذ فقدا نقاوتهما ، فقدا بساطتهما الأولى . فبدلا من معالجة الخطية والتخلص منها ، و الرجوع إلى النقاوة الأولى ، قاما بتغطية الخطية بأوراق التين . وهكذا تغطى آدم وحواء ، ولكن بقى القلب من الداخل غير سليم ، والشعور كما هو ..

وأصبحت أوراق التين ترمز إلى تغطية الخطية ، دون التخلص منها .

لهذا نرى أن الرب لم يوافق على فكرة أوراق التين . " صنع الرب الإله لآدم وإمراته أقمصه من جلد وألبسهما " (تك ٣ : ٢١) .

ومن أين أتت أقمصة الجلد ؟ لعلها أتت من ذبيحة ، سفك دمها لأخلهما ، وتغطيا بجلدها . وهنا بدأ الرمز العميق :

الخطية تعرى الإنسان وتخجله ، والذبيحة تغطيه وتستره ، بل وتطهره ..

أنه معنى ربما يكونان قد عرفاه بسيطاً فى بادئ الأمر ، وأتى التعمق فيه على الزمن فيما بعد . بعد الخطية ، شعر آدم وحواء بالعرى ، وبالخزى ، فإستترا بأوراق التين .. وماذا بعد ؟ لقد وقعا فى خطية أخرى كبيرة وهى :

١٧- الهروب من الله

" سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة ، عند هبوب ريح النهار ، فإختباء آدم وإمراته من وجه الله فى وسط شجر الجنة " (تك ٣ : ٨)

أصبح هناك تباعد بينهما وبين الله ... وجدت هوة فاصلة .. لم يعودا يفرحان بالوجود فى حضرة الرب . فحالما سمعا صوته مقبلاً ، هربا من وجهة وأختفيا ..

وصار الهروب من الله خطية موروثة فى نسل آدم وحواء . فما أن يقع الإنسان فى الخطية ، حتى يبدأ فى سلسلة من الهروب : يهرب من الصلاة ، لأنه يخجل من الكلام مع الله وهو فى الخطية ! ويهرب من الكنيسة ، ومن أب الاعتراف ، ومن الإجتماعات الروحية ، ومن الأصدقاء الروحيين ، إلى أن يقطع صلة له بالله ..!

ولعل الهروب من الله ، بالنسبة إلى آدم وحواء ، قد دفعت إليه خطية أخرى وهى الخوف .

١٨- الخوف

الخوف إن لم يكن خطية فى حد ذاته ، فعلى الأقل هو إنحدار فى المستوى ، إنحدار من مستوى الحب الإلهى الذى كانا يعيشان فيه ٠ ويقول القديس ويوحنا الرسول " لا خوف فى المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ٠ لأن الخوف له عذاب ٠ وأما من خاف ، فلم يتكمل فى المحبة " (١ يو ٤ : ١٨) ٠

وواضح من إجابة أبينا آدم أنه خائف ٠ ولا نقصد المخافة التى تحمل مهابة الله ، وإنما الخوف بمعناه الحرفى ، الذى يدعو إلى الهرب والإختفاء ٠ وفى هذا يقول للرب " سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فإختبأت " (تك ٣ : ١٠) ٠

وبالنسبة إلى آدم وحواء ، لا نقول فقط إنهما نزلا من مستوى الحب ، بل عملا أعمالاً ضد محبة الله

١٩- الخروج من محبة الله

* لا شك أن كسر الوصية كان عملاً ضد محبة الله ٠ لأن الرب يقول " الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى " (يو ١٤ : ٢١) ٠ ويقول القديس يوحنا الحبيب " من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه ٠ وأما من حفظ كلمته ، فحقاً فى هذا قد تكملت محبة الله " (١يو ٣ : ٤) ٠ إذن كسر الوصية ضد المحبة ٠
* ورغبة آدم وحواء فى أن يصيرا " مثل الله " حسب إغراء الحية ، كان عملاً آخر ضد محبتهما لله
* وتصديق كلام الحية ، عكس كلام الله ، كان أيضاً عملاً ضد محبة أبوينا الأولين لله ٠
* وفى مناقشتهما مع الله ، كانت الطريقة لا تتفق والمحبة ٠
* وهروبهما من وجه الله ، إختفاؤهما ، كان عملاً رابعاً منهما ضد محبة الله ٠

كذلك فى خوف أبوينا وأختبائهما ، وقعا فى خطية أخرى ، وهى عدم السعى للصلح مع الله ٠

٢٠- عدم السعى إلى الخلاص

إنهما إنسانان قد كسرا وصية الله ، وأصبح محكوماً عليهما بالموت ٠ فماذا فعلا للتخلص من حكم الموت هذا ؟ هل سعيا إلى الخلاص ؟ هل بذلا جهدهما لكى يصطلحا مع الله وولكى يعودا إلى علاقة الحب الأولى ؟ كلا ٠

لقد شل الخوف تفكيرهما ، فلم يقوما بأى عمل من أجل نفسيهما الهالكتين ، إنما أسرعا بالإختفاء من وجه الله ٠

وفى الإختفاء من وجه الله فى وسط الشجرة وقعا فى خطية أخرى وهى الجهل بالله وقدرته ٠٠

٢١- الجهل بالله وقدرته

إلى أين يهرب هذان المسكينات من وجه الرب ؟ وأين يختفيان ؟ لقد كان حفيدهما داود أكثر معرفة بالله حينما قال :

" أين أذهب من وجهك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك ٠ وإن فرشت فى هاوية فها أنت ٠٠" (مز ١٣٩ : ٧ : ٨) ٠٠ فما معنى الإختبار وسط الشجر إذن ؟!

هل الشجر يخفيهما عن عين الله الفاحصة الخفيات والظاهرات ؟ أم أنهما جهلا قدرة الله على كل شئ
حقاً إن الإنسان لما أكل من شجرة المعرفة صار جاهلاً ، لقد وعده الشيطان وعداً زائفاً لم يبربه ..
وفى المناقشة بين الله وأبوينا الأولين ، نرى فى أجابتهما عدداً كبيراً من الأخطاء ، منها :

٢٢- عدم إدانه النفس

إن كان هذا الإنسان قد أكل من شجرة المعرفة ، وعرف الخير والشر ، فعلى الأقل أصبح يعرف أنه قد أخطأ .

ولكن كلمة " أخطأت " لم يقلها آدم إطلاقاً ، ولم تقلها حواء .

ولم يعترف أحد منهما بهذه الخطايا التى ذكرتاها ، و لا بشئ منها . لم يقم أحد منهما بإدانة نفسه ، ولم تكن لأى منهما حكمة القديس مقاريوس الكبير الذى قال : [أحكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك] ..
ويا ليتهما لم يدينا نفسيهما وصمتا ، بل أنهما وقعاً فى خطية أصعب ، وهى محاولة تبرير النفس

٢٣- محاولة تبرير النفس

كل منهما حاول أن يبرر نفسه . حاول أن يوجد لنفسه عذراً يغطى به خطيته ، أو يقلل من الجرم الذى وقع فيه . ولم يقبل الله شيئاً من تبر يراتهما وأعذارهما ، لأن الخطية واضحة .

أمام الله يستند كل فم . وإن تكلم الإنسان ، فإنما ليعترف ويدين نفسه ويطلب الرحمة ، وليس غير . أما محاولة تبرير النفس ، فهى نوع من المكابرة والكبرياء .

وفى تبرير كل من آدم وحواء لنفسه ، وقع خطية أخرى وهى إلقاء التبعة على الآخرين .

٢٤- إلقاء التبعةعلى الآخرين

حواء ، تلقى التبعة على الحية متقول " الحية غرتنى فأكلت " . وآدم يلقى التبعة على حواء " المرأة أعطتنى فأكلت " ..

ولا يلقى أحد منهما بالتبعة على نفسه

ولم يكن إلقاء التبعة على الآخرين عذراء مقبولاً : فآدم كان يستطيع أن يرفض الأكل ، و لا يسمع لحواء ، بل كان يستطيع أن يوبخها ، بل أكثر من هذا كان يمكنه أن ينصحها ويمنعها قبل الوقوع فى الخطية .
أما أن تقدم له من الثمرة فيأكل دون تفكير ، دون إمتناع ، ودون تذكر للوصية دون تذكر للعقوبة ، فهذا أمر لا تقبله أحد .
وحواء بالمثل ، كانت تستطيع أن ترفض إغراء الحية .. وحينما الق آدم بالتبعة على حواء ، إنما وقع ضمناً فى خطية أخرى ، تخدش المحبة التى بينهما .

٢٥- ضد محبة القريب

كما كسر آدم محبته لله ، كسر أيضاً محبته للقريب . والقريب الوحيد هنا كان حواء . إتهمها أمام الله ، وحملها تبعة سقوطه فى الخطية .

وهكذا الق أول بذرة للخلافات الزوجية ٠ ونشكر الله أن حواء لم ترد على آدم ، ولـم علـى أن إتهام آدم لحواء ، كان يحمل خطية أخرى :

٢٦- الإختفاء وراء امرأة

ما كان يليق بأبينا آدم - الرجل الأول فى البشرية أن يختفى وراء إمرأة لكـى ينجـو ! يقـدمها للإتهام ، ويحملها المسئوليه ، لكى يتبرر هو !

الأمر المثالى ، أن يتحمل أخطاءها ، وينسبها لنفسه ، كمسئول ، وينجيها من **العقوبة ، ويتصدر الموقف ويتركها تختفى وراءه ٠ ويحمل خطاياها ، كما حمل المسيح** خطايا عروسه الكنيسـة ٠٠ لكن آدم فعل العكس٠ لا أريد أن أعلق على الموقف بأكثر من هذا ٠٠

٢٧- عدم اللياقة فى الحديث

وفى دفاع آدم عن نفسه بالقاء التبعة على المرأة ، فقد اللياقة اللازمة فى التحدث مع الله نفسه ٠٠!

فلم يكتف بقولة "المرأة أعطتنى فأكلت" وإنما قال لله : "المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتنى "

كأنه بهذا يشرك الله فى المسئولية ، أو يجعل الله صاحب السبب فى سقوطه ، أنه أعطاه المـرأة التى أعطته الثمرة ٠٠! وكان تعبيراً غير لائق من جهة آداب الحديث مع الله ٠ ولم يرد الله عليه ٠

* * *

من هذه السقطات التى وقع فيها أبوانا الأولان نستنتج :

* أن الخطايا لسيت عواقر ، وإنها تلد خطايا أخرى ٠٠ ويكفى أن يجر الإنسان أول الخـيط ، لكـى ينساب كله ، ويجد أن خطية تقوده إلى أخرى ٠٠ إلى غير إنتهاء٠٠

***كذلك نستنتج أنه يلزمنا التدقيق فى محاسبتنا لأنفسنا وفى إعترافاتنا ٠٠**

فربما نظن أننا إقترفنا شيئاً بسيطاً ، بينما هذا الشئ يحوى العديد من الخطايا ، التى ربما تخفـى عن معرفتنا ، ولكننا بقليل من التحليل ندركها ٠٠

وها قد رأينا كيف سقط أبوانا آدم وحواء ، وكيف بدأ الفساد ينخر فى الطبيعة البشرية على مدى العصور ، حتى أتلفها تماماً ٠

بقى أن نتأمل نتائج السقطة الأولى للبشرية :

نتائج هذه الخطايا وعقوباتها

١- اللعنة

***اللعنة ام تصب آدم وحواء لسببين :**

أولاً : لأن الله كان قد باركهما قبلاً (تك ١ : ٨) وهبات الله بلا ندامه (رو ١١ : ٩) ، و لا يرجع فيها مهما حدث ٠ إنها لا تتوقف على أمانتنا ، بقدر ما تتوقف على جوده هو وكرمة ٠٠

ثانياً : أنه لو لعن آدم وحواء ، لكانت اللعنة قد أصابت الجنس البشرى كله ، الموجود فى صلبهما ، كما لعن فيما بعد كنعان فلعن كل نسله ولا يمكن أن يلعن الجنس البشرى كله ، ومنه سيأتى أنبياء وأبرار يباركهم الرب ويكونون بركة ٠٠ بل من نسل آدم سيأتى السيد المسيح - حسب الجسد - الذى سيسحق رأس الحية ، وبه " تتبارك فيه جميع قبائل الأرض " (تك ٢٢ : ١٨) ٠

***ولكن اللعنة أصابت الحية التى أغرت حواء بأكل الثمرة ٠ كذلك أصابت اللعنة الأرض التى تخرج ثمراً للأكل :**

١-فقال الله للحية " ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ٠ على بطنك تسعين ، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ٠ وأضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ٠ وهو يسحق رأسك ،

ونلاحظ أن لعنة الحية ، كانت تحمل عقوبة ضمنية للإنسان ٠

أصبحت هناك عداوة بينه وبين الحية ، ولم توجد من قبل أية عداوة بينه وبين أحد من خليقة كلها ٠ كما أن سلطانه على الحيوان قد إهتز ، فصارت الحية تستطيع أن تسحق عقبه ، وتؤذيه ! وهو الذى كان ملكاً مسلطاً على كل أنواع الخليقة ٠ وهكذا ضاع جزء من هيبته ومن سلطته ٠٠

على أن سلطان الحية قد إهتز عندما أعطانا السيد المسيح سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو ٠ وإنتهى حينما سحق المسيح رأس الحية ٠٠ وعبارة " وتراباً تأكلين كل أيام حياتك " فيها تعريض بالإنسان الذى قال له الرب فى نفس المناسبة " أنت تراب وإلى التراب تعود " (تك ٤ : ١٩)

الإنسان البار ، هو صورة الله ومثاله ، أما الإنسان الخاطئ فهو تراب ٠ وكتراب يصير طعاماً للحية ، أنها تأكل تراباً كل أيام حياتها ٠٠ هذا هو المعنى الرمزى كما تأمله القديس وأغسطينوس ٠٠

وفى داخل هذه العقوبة التى أوقعها الله على الحية ، وضمناً على الإنسان ، كان يوجد الوعد بالخلاص ٠

وعد بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية ٠ وهذه كانت أول نبوءة عن مجئ السيد المسيح لخلاصنا

ويظهر لنا هذا الوعد حنو الله على الخطاة ، ويزيده عمقاً أنه وعد بالخلاص ، وعد به الله فيما هو يعاقب ويقتص من الخطية ٠ حقاً إن عدله مملؤ رحمة ، وأنه رحيم فى عدله ، وصفاته لا تنفصل عن بعضها البعض ٠٠

إن الله لم يلعن الإنسان ، ولكنه لعن الحية التى أغوت الإنسان ، كانت فى لعنتها ، عقوبة ضمنية للإنسان ٠ كذلك لعن الله الأرض التى يعيش عليها الإنسان ٠

***وفى اللعنة التى أصابت الأرض ، كانت توجد أيضاً عقوبة ضمنية موقعة على الإنسان نفسه :**

كانت لعنة الأرض ضمن العقوبة التى أوقعها الله على الإنسان ، إذ قال له " ملعونة الأرض بسببك ٠ بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ٠ وشوكاً وحسكاً تنبت لك ، حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ٠٠ " (تك ٣ : ١٧ ـ ١٩)

بهذه اللعنة بدأت الأرض تتمرد على الإنسان ، كما أصبحت الحيوانات تتمرد عليه ، ممثله فى الحية ، وهكذا فقد الإنسان هيبته ، فيما كانت تعده الحية بالإلوهية !!

أول تمرد للأرض ، يكمن فى عبارة " بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك " ٠ الأرض المباركة ، لا يتعب فيها الإنسان ٠ أما الأرض الملعونة فتتعبه ٠ كان آدم قبل الخطية يعمل فى الجنة ، ولكنه كان عملاً مريحاً ، ولم يذكر الكتاب مطلقاً إنه كان يتعب فى عمله ، أو أنه كان يتعب ليحصل من الأرض على أكله

هذه اللعنة نجدها واضحة فى قول الرب لقايين ، أول إنسان لعنة الله " متى عملت الأرض ، لا تعود تعطيك قوتها " (تك ٤ : ١٢) ٠

وتمرد الأرض يظهر ايضاً غى عبارة " شوكاً وحسكاً تنبت لك " ٠٠ لأول مرة نسمع عن الشوك والحسك ، إذ لم يرد لهما ذكر من قبل فى نباتات الأرض وحينما نظر الله إلى كل ما عمله فإذا هو حسن جداً : إن الأرض العطشانة ، والمحرومة من بركة الله وخيره ، يمكن أن تنتج شوكاً وحسكاً وهى تحرم من بركة الله وخيره ، بسبب خطية الإنسان ٠ لذلك قال له الله " ملعونة الأرض بسببك "

إن الإنسان البار ، به تتبارك الأرض ، والإنسان الخاطئ بسببه تعلن الأرض ، كما ورد فى سفر التثنية (تث ٢٨) ٠

يقول الرب لمن يحفظ وصاياه " مباركاً تكون فى المدينة ومباركاً تكون فى الحقل ٠ ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ٠٠ " (تث ٢٨ : ٣ ، ٤) ٠ وبعكس ذلك يقول الرب لمن لا يحفظ وصاياه " ملعوناً تكون فى المدينة ، وملعوناً تكون فى الحقل ٠٠ ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك " (تث ٢٨ : ١٦ ، ١٨) ٠ لما لعنت الأرض ، قل خيرها ، وأصبحت تنتج شوكاً وحسكاً ٠

وجاء المسيح الذى حمل خطايانا على الصليب ، فحمل أيضاً على جبينه الشوك والحسك اللذين أنتجتهما خطية الإنسان ٠

قلنا إنه كانت من نتائج الخطية اللعنة ٠ وماذا أيضاً ؟

٢ ـ الموت

" يوم تأكل منها موتاً تموت " (تك ٢ : ١٧) ٠

كان الموت هو العقوبة الأساسية للخطية ٠

والكل قد خضع له ، مات آدم وحواء ، ومات كل نسلها ، وسيموت النسل الذى يولد فيما بعد ٠ ويظل الموت إلى أن ينتهى هذا العالم ٠

ويقول الكتاب إن " آخر عدو يبطل هو الموت " (١كو ١٥ : ٢٦) ٠ يحدث هذا فى نهاية العالم ، حينما تتغير طبيعتنا فى القيامة العامة ونلبس الحياة ، أو كما يقول الرسول " هذا المائت يلبس عدم موت " (١كو ١٥ : ٥٣) ٠ عندئذ فقط نقول له " أين شوكتك يا نوت ؟! " ٠٠ أما قبل هذه القيامة ، فتظل شوكة الموت فى أجسادنا جميعاً ٠٠ نتيجة لخطيئة آدم وحواء ٠٠

***ولكن لم يكن ممكناً أن يموت أبوانا فى التو واللحظة ٠٠**

وإلا تكون البشرية كلها قد إنتهت وزالت ، ويكون الشيطان قد أنتصر فى المعركة إنتصاراً ساحقاً ، ولا يكون هناك خلاص ، خلاص الذى أعده الرب لآدم وبنيه ٠٠

لذلك تأجل هذا الموت إلى حين ، ريثما تلد حواء بنين وتربيهم ٠ لأنه فيما بعد سيأتى من نسل المرأة من يسحق رأس الحية ، ويطلب ويخلص ما قد هلك ٠

***ومع تأجيل هذا الموت الجسدى ، كانت هناك أنواع أخرى من الموت ، تم بعضها فى النو واللحظة**

هناك الموت الروحى ، وكما قال القديس أوغسطينوس [موت الجسد هو إنفصال الروح عن الجسد ٠ أما موت الروح ، يفهو إنفصال الروح عن الله] ٠٠٠

ولهذا أعتبر الكتاب أن الخطية موت ، فقال الآب عن إبنه الضال " إبنى كان ميتاً فعاش " (لو ١٥ : ٢٤) ٠ وقال الرب لملاك كنيسة ساردس " إن لك إسماً إنك حى ، وأنت ميت " (رؤ٣ : ١) ٠ فالخطية موت روحى ، لأنها تفصل الإنسان عن الله ، لأنه لا شركة للظلمة مع النور ٠٠

***وآدم وحواء قد ماتا هذا الموت الروحى يوم أكلا من الشجرة ، وماتا أيضاً موتاً آخر أدبياً :**

فى هذا الموت الأدبى ، ضاعت كرامة هذا الإنسان الأول ، وفقد الحالة الفائقة للطبيعة التى خلق عليها كما سنشرح فى النقاط المقبلة ٠٠ وأكبر تعبير على هذا الموت الأدبى ، أن الله طرده من الجنة ٠ وعبارة " طرد" تعنى كثيراً من جهة الموتين الأدبى والروحى ٠ على أنه من جهة هذين الموتين ، ظل الله يعمل عملية إقامة من الأموات بالنسبة إلى آدم وبنيه ، لكى يرجعهم إلى رتبهم الأولى ، ولكى تتم مصالحة بينهم وبين الله ٠ ولكن الأمر كان يتوقف على مدى الإستجابة الفردية لعمل النعمة فى كل إنسان على حدة ٠٠

***بقى الموت الأبدى ، وهو أخطر ما حكم الموت : وهو الذى خلصنا منه المسيح بالفداء ، حين مات عنا**

ولكن آدم وحواء وبنيهما جميعاً ، ظلوا تحت حكم الموت فى كل العصور السابقة للفداء ٠ وكان كل الذين يموتون ، يذهبون إلى الجحيم ٠ والمؤمنون منهم ، الراقدون على الرجاء ، يرتلون مع داود " أنك لا تترك نفسى فى الجحيم ، ولا تدع قدوسك يرى فساداً " (مز ١٥ : ١٠)

ولأن الخطية حرمت الإنسان من الحياة ، وأوقعته فى الموت ، لذلك رأينا أمراً خطيراً قد صدر من الله " وأقام شرقى جنة عدن الكاروبيم ، ولهيب سيف متقلب حراسة طريق شجرة الحياة " (تك ٣ : ٢٤)

٣- فقدان الصورة الالهية

فى حالة البر الأولى ، كان آدم على صورة الله ، ومثاله ، كما قال الله " نخلق إنساننا كشبهنا " ٠ أما فى حالة السقوط ، فقد فقد الإنسان هذه الصورة الإلهية ٠

وفساد الطبيعة البشرية ، الذى سنتحدث عنه فى النقاط التالية ، لم يعد يتفق مع الصورة الإلهية التى كانت له يوم خلق ٠

ولهذا نجد الله يخاطبه آخرى تتفق وصورته فى الخطية ، فيقول له " لأنك تراب ، وإلى التراب تعود " كان صورة الله ، فأصبح تراباً ٠ ننتقل إذن إلى النقطة الرابعة من نتائج الخطية ، وهى :

٤- فساد الطبيعة البشرية

فقدت الطبيعة البشرية نقاوتها الأولى ، وبساطتها الأولى ، وعرفت الخطيئة ، وأختبرتها ، ودخلت فى ثنائية معرفة الخير والشر ، وفى الصراع بين الجسد والروح ، وهبطت إلى المستوى الجسدى أحياناً كثيرة ٠ اصبح من السهل أن نخطئ٠٠٠

وقد رأينا فيما بعد ، كيف إنهارت هذه الطبيعة البشرية ، وإنحدرت إلى مستويات مؤسفة ، وتوارثت ألوانا من الفساد ، إلى أن وصلت إلى محبة الخطية ، وإلى العبودية لها ، وإلى إنكار الله ، الجهل به ٠

وفقد آدم وحواء هيبتهما ، سلطتهما على الطبيعة ، وعلى الحيوان ، فتمردت عليهما الأرض ، وصارت تنبت لهما شوكاً وحسكاً ، وتمرد عليهما الحيوان ، وقامت عداوة معه ..
وظهر فساد الطبيعة البشرية أيضاً فى إنحلالها ، فى تعب الجسد وتعب النفس ، وستبقى فى هذا الفساد إلى يوم القيامة حين " يلبس الفاسد عدم فساد " (١كو ١٥ : ٥٤)

٥- تعب النفس

لأول مرة نسمع عن أمراض النفس : نسمع فى قصة آدم وحواء عن الشهوة ، وعن الخوف ، وعن الخجل " أى الخزى " ، ثم عن معرفة آدم لحواء .. وعن سائر تعب الروح الذى ذكرناه فى تحليل خطاياهما .
وكل هذه كانت بداية ، إلى أن نسمع فى قصة قايين ، فى حياة أبوية آدم وحواء ، عن الحسد والغضب والقتل ، وعن القلق والرعب وفقدان السلام الداخلى (تك٤) .
وبدا أن أمراض النفس والروح قد أخذت تزداد ، كمظهر من مظاهر فساد الطبيعة البشرية .

٥- تعب الجسد

أصبح آدم يأكل خبزه بعرق جبينه . يعمل فى الأرض وبالتعب يأكل منها كل أيامه ..
وأصبحت حواء بالوجع تلد أولاداً ، كما قال لها الرب " تكثيرا أكثر أتعاب حبلك " (تك ٣ : ١٦)
.
وثمة تعب آخر ، هو شهوات الجسد وغرائزه ، إشتياقائه .. وقبل الخطيئة ، لم يكن هناك تعب ، و لا وجع .. وما هذا كله إلا مظهر آخر لفساد الطبيعة البشرية .
وبدا أن الحية لم تصدق فى خداعها . فبدلاً من إرتقاء الإنسان ليصير مثل الله .. وإنحدر إلى أسفل .

وكان إنحدار آدم وحواء ، هو " مبتدأ الأوجاع " .

ولم يعد هناك من حل ، سوى إنتظار الخلاص الذى يأتى به المسيح ، حيث ينضح علينا بزوفاه فنظهر ويغسلنا أكثر من الثلج ، ويمنحنا بهجة خلاصه (مز ٥٠) .

-2-

هابيل

أول من وصف بأنه بار (عب ١١ : ٤)

وأخوه قايين

أول قاتل على الأرض (تك ٤ : ٨)

لا شك أن قصة قايين وهابيل ، هى من القصص المؤثرة ، أنها تمثل أول حادث قتل يحدث بين أخين بل بين شقيقين ، من أب واحد وأم واحدة ، ولم يكن يوجد فى الأرض أخوة غيرهما ٠٠ !

كيف دخلت الخطية ؟ وكيف بدأت ، وكيف تطورت ؟ وماذا كانت نتائجها ؟

لقد ولد قايين ميلاداً حسنا ، سمى قايين ٠ لأن أمه أعتبرت أنها قد أقتنته من الرب (تك ٤ : ١) ، أى حصلت عليه من الرب ٠٠وكان قايين عاملاً فى الأرض ، وكان أخوه هابيل راعياً للغنم ٠

وظل هذان الأخوان يعيشان معاً فى هدوء ، إلى أن دخل بينهما نوع من التنافس ٠٠ لقد قدم كل منهما قرباناً للرب فقبل الرب قربان هابيل ، ولم يقبل قربان قايين ٠ فغضب قايين على أخيه هابيل وقتله ٠٠

مشكلة هابيل ، إنه إنسان مقبول من الرب !

هكذا كانت مشكلة مريم أيضاً ، التى أختارت النصيب الصالح ، وجلست عند قدمى المسيح ، فرضى عنها ٠ وإستاءت أختها مرثا ووجهت إليها اللوم وغضبت عليها ٠٠!

ماذنب مريم ، إذا جلست عند قدمى المسيح ورضى عنها ، وما ذنبها إذا كان عمل مرثا ليس فى مستوى عملها ؟!

قايين وجد أن قربانه غير مقبول كأخيه ، فدخله الحسد ٠٠ وكان هذا الحسد بدء الشر الذى دخل قلبه ، ونتهى به إلى قتل أخيه ٠ وربما كان الحسد أيضاً هو الذى دفع الشيطان إلى إسقاط آدم وحواء ، إذ رأى أن الله قد أحبهما وباركهما ، وأعطاهما سلطاناً ومركزاً ، وقد خلقهما على صورته ومثاله ، فحسدهما الشيطان ، ، دبر خطته لإسقاطهما ٠ ولذلك نقول فى القداس الإلهى " والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس ، هدمته ٠٠"

مساكين هم الأشخاص الذين يسيرون فى طريق الرب ، لأن الشر يتضايق من نجاحهم ومحبة الله لهم ٠ فيدبر لهم ما يشاء أن يدبر ٠٠ إنه حسد الشياطين وأعوانهم ٠٠

سواء فى ذلك آدم ، الذى حسده الشيطان فى الجنة ٠٠ أو هابيل البار ، الذى قدم لله قرباناً أفضل من أخيه قايين ، فحسده أخوه وقتله

أو داود إذ مسحه صموئيل ملكاً ، ونجح فى حياته ، فتضايق أخوته ، فتضايق أيضاً شاول الملك ، وحسده ، ودبر لقتله ٠٠

أو يوسف الصديق ، إذ كان إنساناً موهوباً ، محبوباً عند أبويه ، فحسده أخوته ، وباعوه كعبد ٠

أو السيد المسيح نفسه ، الذى كان يجول يصنع خيراً : فإذ رأى الكهنة أن " الكل قد ساروا وراءه " ، حسدوه ، وجمعوا عليه شهود زور ، وإتهموه باطلاً ، قدموه للصلب ٠٠

وهكذا كانت مشكلة هابيل ، أن قربانه كان مقبولاً أمام الله ، فتضايق أخوه ، ويقول الكتاب فى ذلك :

" فإغتاظ قايين جداً ، وسقط وجهه " (تك ٤ : ٥) ٠

إذن قايين لم يكن يسعى إلى محبة الله ، وإلى إرضاء قلب الله ، إنما كان يبحث عن كرامته الشخصية ورضاه عن نفسه وعن مركزه ٠

لو كان يبحث عن محبة الله ، لكان فى حالة رفض الله لقربانه ، يفتش كيف يرضى الرب ، و لا مانع من أن يغير قربانه ، ويقدم ذبيحة كهابيل ، ويحسن تصرفه ٠ ولعل هذا ما قصده الرب بقوله : " إن أحسنت ، أفلا رفع " (ع ٧) أى أفلا يرتفع وجهك ، إن أحسنت التصرف ، وإن أحسنت التقدمة ، وإن أحسنت التفكير والشعور ٠٠

كانت أمامه فرصة لتحسين موقفه ، ولكنه لم يستغلها ، ولم يستفد من توجيه الرب ، الذى تنازل وكلمه

كان أمامه أن يتضع ، ويشعر أن قربانه " من ثمار الأرض " ليس هو حسب مشيئة الرب ، وإنما مشيئة الرب هى أن يقدم ذبيحة ، محرقة سرور للرب ، كما فعل أخوه البار هابيل ٠ ولكن قايين لم يشأ أن يعترف بينه وبين نفسه أنه مخطئ فى تقدمته ، وأنه يجب أن يسلك كأخيه ٠ إنما ركز على كرامته ٠

كانت ذاته تتعبه ٠ وليته كان يحب ذاته محبة سليمة !

إن الذى يحب ذاته محبة حقيقية طاهرة من الكبرياء والعناد ، لا مانع مطلقاً من أن يصحح لهذه الذات أخطاءها ، ويعمل على تطهيرها من نجاساتها ٠ أما محبة الذات الممتزجة بالكبرياء ، فإن كبرياءها تعميها عن رؤية أخطائها ، فتظل كما هى ، وتصر على سلوكها ٠٠!

وهكذا كان قايين ، محبته لذاته ، حطمت هذه الذات ٠٠

محبة جاهلة ، غير حكيمة ، لا تعرف النافع لها من الضار ٠٠ وقديماً فكر الشيطان فى ذاته ، فقال " أصعد إلى السموات ، وأرفع كرسى فوق كواكب الله ٠٠ أصير مثل العلى " (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) ٠ وبهذه المحبة الخاطئة لنفسه ، ضيع نفسه ٠٠

وبالمثل أحب الإنسان الأول ذاته محبة خاطئة ٠ وإذ أراد أن يصير مثل الله عارفاً الخير والشر ، أضاع هذا الإنسان نفسه ، وطرد من الجنة ، ودخل فى حكم الموت ٠

قايين أيضاً ركز كل تفكيره فى ذاته ، كيف يتفوق على أخوه ويحظى برضى الرب ؟! ٠٠ فرأى أن يتخلص من أخيه ٠٠

يتخلص من هذا البار ، الذى كلما يراه تصغر نفسه و يشعر أنه أقل ٠٠ ورأى أنه إذا تخلص منه ، لا يبقى أمامه شخص أفضل ، يثير جسده ٠

كانت كبرياء الذات ، أهم عنده من نقاء الذات ٠

لقد نبهه الرب إلى أن هناك " خطية رابضة " ٠ وقال له بكل وضوح " وإن لم تحسن ، فعند الباب خطية رابضة ، وإليك إشتياقها ، أنت تسود عليها " ٠ مازال فى متناول يدك أن تتخلص منها ٠٠

إن الخطية مازالت على باب فكرك ، وعلى باب قلبك ، وعلى باب إرادتك ٠ ومازالت إرادتك فى يدك ، وأنت تسود عليها ٠٠ فإحذر لنفسك قبل أن تتورط ٠٠

ما أعمق هذا الحنو ، فى معاملة الله للخطاة ٠٠

إنه يظهر لقايين ، أول إنسان هلك على الأرض ٠ ويكلمه ، ويشرح له التجربة التى أمامه ، وينصحه ،بل ويناقشه أيضا : " لهذا سقط وجهك ؟ ليس السبب راجعاً إلى أخيك ، بل يرجع إليك أنت نفسك ٠ إنك لم تحسن التصرف ٠ وإن أحسنت سيرتفع وجهك ٠ علاج مشكلتك فى أن تغير مسلكك وتحسن التصرف ، وليس فى أن تستسلم للخطية ٠٠ إحترس لنفسك عند باب قلبك وفكرك توجد خطية رابضة ٠حاول أن تنتصر عليها ٠ فأنت مازلت تسود عليها ٠٠

حنو من الله ، أن يظهر للخاطئ ، ويشرح له ، ويحذره قبل أن يسقط ، ويريه طريق التخلص من خطيته ، ويسنده بنصائحه فى وقت تجربته ومحاربة العدو له ٠

قد يخطئ البعض ، ويظن أن الله لا يظهر إلا للقديسين !

إن ظهوره لقايين قبل سقوطه فى خطية القتل ، وتحذيره له ، إنما هو مثال عجيب لمحبة الله وطول أناته ، فى العهد القديم ، بل منذ بدء الخليقة ٠٠٠

وكأنه يقول لقايين : تعال يا حبيبى ، لماذا أنت معتاظ ، ولماذا يسقط وجهك ؟ أنا أريد أن أخلصك من غمك ، وأعيد إليك سلامك ٠ إن الخطية هى التى أفقدتك سلامك ٠ تخلص منها ، يرجع إليك سلامك ٠٠

لا تظن أن هابيل هو سبب متاعبك ٠٠ كلا ، إن متاعبك سببها الخطية الرابضة ٠ فإفحص نفسك جيداً ٠٠٠

سبب متاعبك ، يكمن فى طريقة نظرتك إلى الأمور وفى ردود الفعل داخلك إزاء نجاح أخيك
لو كانت فى قلبك محبة ، لكنت تفرح وتسر ، إن رضى الرب على أخيك ، فلا تغتم ولا تغتاظ ٠ بالمحبة ، تفرح لفرح أخيك ، وتفرح لرضى الرب عليه ٠٠

لكن قايين لم يفرح لفرح أخيه ، ولقبول قربانه٠٠

مثاله كان الإبن الأكبر الذى لم إذ يفرح إذ قبل الأب أخاه الأصغر ، وألبسه الحلة الأولى ، وجعل خاتماً فى أصبعه ، وذبح له العجل المسمن ٠ (لو ١٥ : ٢٧ ، ٢٨)
ذلك الأخ أيضاً إغتاظ ، ولم يكن قلبه مستقيماً تجاه أخيه ، وكان يفكر فى ذاته وليس فى أخيه ، ونفس الحسد أتعبه ٠٠

حقا ، إنها قصة متكررة ، تحدث فى كل جيل ، سببها عدم نقاوة القلب والإستسلام لمشاعر الغيرة

لماذا يكون نجاح أخيك، له رد فعل خاطئ فى قلبك ؟! " كان ينبغى أن تفرح وتسر " لأن الله قبل قربان هابيل كان ينبغى أن تفرح أيضاً لأن هابيل قد كشف لك الطريق الصالح الذى يرضى الرب ، حتى تسير فيه أنت أيضاً ، وتحصل على نفس الرضى والقبول

العجيب أن قايين ، بعد أن كلمه الله ، لم يستجب لكلمة الله ، ولم يفتح لها قلبه ، بل فتحه للخطية ٠٠

بعد أن نصحه الرب ، لم يستفد من النصيحة ، إنما تورط فى الخطية ، وبالأكثر ، وقام على أخيه فقتله !
إنه يذكرنا بالشيطان فى قصة أيوب الصديق ، لما وقف أمام الله ، ولم يستفد من وجوده فى حضرة الله شيئاً وخرج من عند الله لكى يتعب أيوب الكامل والمستقيم ، ويهدم له بيته ، ويقتل أولاده ويضيع كل غناه وبعد أن وقف ثانية أمام إزداد فى شره ، وضرب أيوب بقرح ردئ ، دون أن يستفيد شيئاً من اللقاء مع الله وسماع كلمته ٠٠!
يذكرنا أيضاً بيهوذا الإسخريوطى ، الذى لم يستفد من عشرته للسيد المسيح ، و لا من أكله معه ، وغمسه لقمته فى نفس صحفته ، ولم يستفد من كلام الرب و تحذيراته ، وقام بعد العشاء ليخون سيده ويسلمه !

وسائط النعمة يستفيد منها من يشاء ، ويرفضها من يشاء إنها لا ترغم الإنسان على عمل الخير

الشاب الغنى ، تقابل مع السيد الرب ، وسمع نصيحة نافعة من فمه الإلهى ، ولكنه بعد سماعها مضى حزيناً ، ولم يقل الكتاب إنه نفذ شيئاً من تلك النصيحة

أمر محزن ومخجل ، أن يسمع إنسان نصيحة من فم الرب نفسه ، ثم يمضى حزيناً ، و لا ينفذ هكذا قايين أيضاً ٠

إذن ، فلا يجوز أن يحتج أحد ويقول " مشكلتى الوحيدة هى عدم وجود مرشدين روحيين ولو كان لى مرشد روحى حكيم ، لصرت قديساً " ٠٠هوذا أمامنا أمثلة لأشخاص أرشدهم الرب نفسه و ولم يستفيدوا ، لأن القلب رافض أن يستجيب ، مثل الأرض التى القى عليها البذار الرب نفسه ، فأنتجت شوكاً ٠٠ أو سمحت للشوك أن يخنق زرعها ، وللطير أن يلتقط بذارها ٠٠

لقد تقابل قايين مع الرب ، وللأسف لم يستفد ٠ سعى الرب إليه وأراه الطريق ، ولكنه رافض أن يسير فى طريق الرب ، ولم يستجب إلا لفكر قلبه الردئ

المشكلة تكمن فى عدم وجود إستعداد داخلى ٠

لا تقل " إننى أذهب إلى الكنيسة و لا أستفيد " ٠٠ لأن غيرك يذهب ويستفيد ٠ لو كنت تريد أن تستفيد لأستفدت ٠إن لم تستفد من القداس ، يمكنك أن تستفيد من العظة وإن لم تستفد من العظة ، يمكنك أن تستفيد من مجرد القراءات ، بل من مجرد لوجود فى الكنيسة فى جوروحى ٠٠ بل يمكنك أن تستفيد– لو أردت – من منظر الأيقونات ، ومن الشموع ٠٠ أو على الأقل تخلو إلى نفسك مع الله ، ولو لحيظات ٠٠

لم تكن له أذنان للسمع ،فلم يسمع ٠٠

ربما أثناء حديث الرب معه ، كان منشغلاً بالغيرة التى فى قلبه ، وكان الحسد يسد أذنيه ، وكان الإنفعال الداخلى أعلى صوتاً فى القلب ، كانت ذاته حائلاً يحجب حكمة الوصية والنصيحة ٠٠

" وكلم قايين هابيل " (تك٤ : ٨) ٠ ترى ماذا قال له ؟

أتراه قال له " هيا بنا إلى الحقل ، نقضى الوقت بعيداً عن الأسرة معاً ٠٠ بعيداً عن ملاحظة الأبوين " ٠٠ على أية الحالات ، لم يكن هابيل ينتظر خياته من أخيه قايين ٠ إنه شقيقه ، ويمكن أن ينام إلى جواره ويغمض عينيه ، دون أن يخشى شراً ، فى ثقة بهذه الأخوة ٠٠ لو كان فى قلبه أدنى شك من جهته لإحتراس منه ٠ ولكن حينما يأتى الشر ممن هم فوق مستوى الشك ، حينئذ تكون المأساة أعمق وأكثر تأثيراً فى النفس ٠٠

وقام قايين على هابيل أخيه وقتله " ٠ وهكذا تطورت به الخطية من سئ إلى أسوأ ، و هو مستسلم لها

تطور من غيره إلى حسد ، إلى غيظ ، إلى حقد ، إلى فكر الشر ، إلى تدبيره وتنفيذه ، إلى قتل أخيه وبعد أن كانت الخطية رابضة عند الباب ، دخلت إلى قلبه ، وسيطرت على فكره ومشاعره وأعصابه وإنفعالاته ٠

وبعد أن كان يسود عليها ، صارت تسود عليه ٠٠

ودفعته الخطية فى طريقها ، فخضع لها ونفذها ٠٠ وحينما نفذ إختفت من أمامه كل المثل : لا محبة ، و لا شفقة ، و لا إرضاء الله ٠٠

وربما ظن قايين ، أنه لا يوجد أحد يراه ٠٠

وأنه سوف لا يعلم أحد بجريمته ، وانه قد تخلص من هذا المتفوق الذى تصغر نفسه أمامه ، إن صوت هابيل قد سكت إلى الأبد وهابيل البار ، لم يستطيع أن يدافع عن نفسه ٠

وهكذا بدا أن الشر قد إنتصر على الخير ٠٠

وبدا أن الخير لم يستطع أن يدافع ، فهزمه الشر ٠٠

نعم ، إن الشر فى الأرض ، يبدو دائماً جرأة ، وأكثر تسلطاً ٠ يعرف أن يضرب ، ويعتدى ، ويقتل ٠٠ والطرق أمامه مفتوحة كلها ، بعكس الخير الذى يعف عن كثير من الوسائل يستخدمها الشر ٠

إن قصة قايين وهابيل ، ترينا مدى إمكانيات الشر ٠٠

الشر يستطيع أن يدبر مؤامرات ، وأن يخدع ، وأن يتعدى ، وأن يقتل ، ومع كل ذلك يجرؤ أن يستر فعلته بالأكاذيب ٠ ويقول فى جرأة حتى أمام الله " أحارس أنا لأخى " ؟!

والشر إستطاع بالنسبة إلى السيد المسيح نفسه ، أن يقدم تهماً باطلة ، وأن يحضر شهود زور ، وأن يتملق قيصر ، وأن يثير الشعب كله ، وأن يصلب البار ٠

والشر إستطاع أن يغتصب نابوت اليزرعيلى ، وفى نفس الوقت يلفق له تماً تجعله يستحق الموت ٠٠ ! (١ مل : ٢١)

نعم إن الشر قد ينتصر على الخير ٠٠ ولكن القصة لها تكملة ٠٠ وتكملتها إن الله موجود ، وإنه يحكم للمظلومين ٠

ربما لم يحسب قايين حساباً لوجود الله ولتدخله ، وظن أن الموضوع بينه وبين هابيل فقط ، وليس من ثالث يتدخل بينهما ، لكى يكمل القصة ، ويقيم التوازن ٠

هذا الثالث العادل ، تدخل بين الخير والشر ٠٠

تدخل ليحاسب ويحاكم ، ويعاقب ، ويشرح للشر أن الأمر لم ينته بعد ، وأن هناك قوة أكبر و وأن هناك عيناً ترى ، وقضاء يحكم ٠ و لا ن الله لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين ٠

وأثبت هذا الثالث ، أن إنتصارالشر هو إنتصار زائف ومؤقت ، و أن العبرة بالنهاية ، والنهاية هى إنهيار الشر ٠

أذن ، لا تفقد الرجاء أبداً ٠ إن أصابك شر ، وحتى إن قوى الشر عليك ، و على ظهرك جلدك الخطاة وأطالوا إثمهم ، فلا يتزعزع قلبك ٠ ثق أن الله يرى ويسمع ، ويكتب أمامه سفر تذكرة (مل ٣ : ١٦) وثق أن الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة (مز ١٢٨) ٠٠

لا تنظر إلى أوائل الأشرار ، وإنما إلى نهايتهم ٠٠ وأسأل نفسك : من الذى إنتصر : قايين أو هابيل ؟

هابيل كتب إسمه فى سفر الحياة وهو " وإن مات ، يتكلم بعد " (عب ١١ : ٤) ٠ أما قايين فعاش على الأرض معذباً طول أيامه ، قلقاً ، خائفاً ، فاقداً سلامه ٠ وإنتظرته عذبات فى الأبدية أشد آلاماً ٠

إن الشر قد يرتفع على الخير ، ولكنه يتبدد : كمثال النار والدخان يرتفع إلى فوق وفيما هو يرتفع ، تتسع رقعته ، وتقل حدته ، وينتشر فيندثر ويضعف ويختفى ٠ أما النار ، إن ظلت تحته ، إلا أنها تستمر بعده فى قوتها وفى نقاوتها ٠ إنها أقوى وأشد حرارة و لا تبالى بصعود الدخان إلى فوق ، فوقها ٠٠

هابيل لم يدافع عن نفسه ، فدافع الله عنه ٠

لم يرو لنا الكتاب أن هابيل دافع عن نفسه ، أو أنه قاوم الشر ، أو حتى أنه شكا أو إستنجد أو إستغاث لقد لاقى مصيره فى صمت ، ومات بيد أخيه ٠٠

ولكن القصة لم تتم فصولاً ٠ إذ إن الله واجه قايين وسأله " أين هابيل أخوك ؟ " ٠

فأجاب " لا أعلم ، أحارس أنا لأخى ؟ ! " ٠٠

وهكذا قادته خطية القتل إلى خطية الكذب ، فكذب على الله نفسه ، وقال له لا أعلم ، وهو أكثر الناس علماً بمصير أخيه ! ٠٠ أو كان الوحيد من الشر الذى يعلم بمصير أخيه !!

كان قايين كفأر فى مصيدة ، يحاول أن يفلت فلا يستطيع ٠ إنه يلتمس طريقاً للهروب من مسئولية جريمته ٠ يدعى عدم المعرفة ٠ يدعى أنه غير مسئول عن أخيه وعن حراسته !! لقد أمسكه العدل الإلهى ٠ فأخذ يكذب على فاحص القلوب والكلى ، والعارف بالخفيات والظاهرات ، على الله الذى أنذره من قبل ولم يسمع ٠٠

حقاً ، إن الكذب هو الإبن البكر لكل خطية ٠ هو الغطاء الذى يحاول الخاطئ أن يغطى به على خطيئته فلا تظهر ٠٠

إنه أسهل طريقة ، وأول طريقة ، يحاول بها أن يهرب من المسئوليه ، من العقوبة ، أو من العار والفضيحة ٠٠ يندر أن يوجد خاطئ لا يكذب الذى يعترف بخطيئته ، هو التائب ٠ أما الخاطئ المستمر فى خطيته فإنه يكذب لسترها ٠٠ ولكننا نفهم أن يكذب خاطئ على إنسان مثله ٠ أما أن يكذب على الله نفسه ، فهذا أمر خطير له دلالته ٠

إن كذب قايين على الله ، يدل على بعده عن الإيمان ٠ إنه لا يعرف من هو الله ، وما هى قدرته ، وما هو عمله غير المحدود

والعجيب أن الله هنا لم يجرح شعور قايين ، ولم يقل له إنه كذاب ٠ بل لم يجادله إطلاقاً فى كلامه إنما واجهه بالحقيقة التى تكشف كذبه ، فقال له " صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض " ٠٠ إن هابيل لم يتكلم ، ولكن دمه له صوت ، صارخ من الأرض ٠٠

قد يصمت و المظلومون ٠ ولكن صمتهم له صوت صارخ إلى الله ٠

والله يسمع هذا الصوت ، صوت صمتهم الصارخ ٠٠ إن يوسف الصديق قد ظلمه أخوته وظلمته إمرأة فوطيفار ، وصمت ٠٠ ولكن صمته كان يصرخ إلى الله ، وسمع الله ، وتدخل لينقذه من الظلم

والعمال الذين بخست أجورهم ، يقول الكتاب إن هذه الأجرة المبخوسة تصرخ ، والصراخ قد دخل إلى أذنى الرب (يع ٥ : ٤) ٠

إن الله يقاتل عنكم وأنت تصمتون ، لأنه يسمع صوت صمتكم ٠

إذا ظلم إنسان وسكت ، فلا تظن أن الأمر قد إنتهى عند هذا الحد ٠ فإن صوت سكوته يرن فى أذنى الرب ، يقول الوحى الإلهى " من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين ، الآن أقوم يقول الرب – أصنع الخلاص علانية " (مز ١١) ٠ نعم قم أيها الرب الإله ، وليتبدد جميع أعدائك ، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس ٠٠

" صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض ٠ فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك " ٠

هنا بدأت العقوبة ٠ هنا يجد الشر من يقف فى طريقه ، ويقاومه " لى النقمة ، أنا أجازى يقول الرب " (رو ١٢ : ١٩)

إن لم يجد الشر رادعاً على الأرض ، فهناك رادع من السماء ٠

ولأول مرة هنا يلعن الرب إنساناً ٠٠ عندما أخطأ آدم قال له ملعونة الأرض بسببك ، ولكن لم يلعنه شخصياً ٠

لعنت الحية ، والأرض ، و لأول مرة هنا يلعن الإنسان ٠

كان قايين قد فقد الصورة الإلهية نهائياً ، الصورة التى كانت للإنسان حينما خلق على شبه الله ومثال ٠٠ إن قايين لم تغره الحية كحواء ، ولكنه سقط من الداخل ٠ رداءة قلبه قد أسقطته ٠٠

إين الحية فى سقطة قايين ؟

وبلعنته ، لعن كل نسله أيضاً ، وأصبحوا يدعون أولاد الناس ، بينما دعى أولاد شيث " ابناء الله " (تك ٦ : ٢) ٠ وإستمرت هذه اللعنة ، حتى أفنى الله كل ابناء قايين بالطوفان ٠

" ملعون أنت من الأرض ، التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك " هذه الأرض التى تنجست بجريمة القتل ، وقبلت الدم المسفوك :

" متى عملت الأرض ، لا تعود تعطيك قوتها " (ع ١٢)

الأرض تتمرد عليك ، و لا تعطيك الخير الذى تقدر عليه ٠٠بدلاً من أن تعطيك عشرين أردباً ، تعطيك إثنين أو ثلاثة ٠ لا تجد بركة فى عمل يديك ، و لا بركة من خير الأرض وثمارها ٠٠ بالنسبة إلى البار قال الرب " مبارك تكون ثمرة أرضك " (تث ٢٨ : ٤) ٠ وبالنسبة إلى الخاطئ ٠ لعن الله ثمرة الأرض (تث ٢٨ : ١٨) ٠٠ فلا تعود تعطيك قوتها ٠٠

إن ثمار الأرض فى يد الله ، يباركها حينما يشاء ، مثلما بارك غلة العام السادس ، فكان يكفى ثلاثة أعوام ..

أما إذا سلك الإنسان فى الخطية ، فقد يعاقبه الله بتمرد الأرض عليه ، فلا تعطيه قوتها ، لا تعطيه خيرها كما تمردت من قبل على آدم ، وصارت تنبت له شوكاً وحسكاً . المسألة إذن لا تنحصر فقط فى خبرة الإنسان بالزراعة ، ومدى إتقانه لعمله فيها وخدمته لها ، إنما يحتاج أيضاً إلى بركة . وتتبارك الأرض متى أرضى قلب الله ، وإلا فإنه متى عمل الأرض لا تعود تعطية قوتها . لهذا نحن نصلى من أجل ثمار الأرض ، لكيما يصعدها الله كمقدارها . ويفرح وجه الأرض ، فتكثر أثمارها .

لقد لعن الرب قايين ، أمر الأرض أن تتمرد عليه ، وماذا أيضا عن باقى عقوباته ؟ قال له الرب :

" تائها وهارباً تكون فى الأرض " ..

تفقد سلامك الداخلى . تحيا فى قلق وإضطراب وخوف تجرى وليس من مطارد . تشعر أن كل من وجدك سيقتلك . وهكذا بدأت الأمراض النفسية تعمق جذورها فى الإنسان .

فى خطية آدم ، دخله الخوف ، الخوف من الله وعقوبته . أما فى خطية قايين ، فقد دخله الخوف من الناس ، أو الرعب بمعنى أصح " يكون كل من وجدنى يقتلنى " .. (ع ١٤) .

لا سلام ، قال الرب ، للأشرار ..

الخاطئ يعيش منزعجاً بإستمرار . يخاف أن تنكشف خطيئته ويعرفها الناس . يخاف من الفضيحة والعار والسمعة السيئة . يخاف من العقوبة ، سواء عقوبة القانون ، أو أنتقام من أساء إليه . ويرتعب من نتائج أخرى كثيرة ستحدث .. وأعداء كثير ين يطاردونه .

داخله يزعجه أكثر من أى أزعاج خارجى ..

أيهما لاقى العذاب أكثر : قايين أم هابيل .

هابيل قاسى الألم ربما لحظة أو لحظات . ضربة قاتلة أصابته فمات . أما قايين فإنه عاش العمر كله يتألم ويتعذب ويحطمة القلق والخوف والرعب والإضطراب . هابيل تألم بالجسد قليلاً . أما قايين فإن نفسه تعذبت من الداخل ، و لا شك أن عذاب نفسه كانت له نتائجه على الجسد أيضاً .. هذه إحدى عقوبات الخطية تطارد الإنسان .

" فقال قايين لرب : ذنبى أعظم من أن يحتمل . أنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى . وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض ، فيكون كل من وجدنى

نلاحظ هنا أن عبارة " ذنبى أعظم من أن يحتمل " لم تكن عبارة توبة ، إنما خوف من العقوبة .

أى أن العقوبة أعظم من إحتماله ، عقوبة أن يكون تائها وهارباً فى الأرض ، ومهدداً من كل أحد بالقتل .. لذلك فإن الله الرحوم ، الذى يشفق حتى على القلوب القاسية إذا ما تذللت أمامه ، طمأن قايين الخائف " وجعل له علامة لكى لا يقتله كل من وجده " (ع ١٥) . بل قال له أيضا " كل من قتل قايين ، فسبعة أضعاف ينتقم منه " .

ونلاحظ أن قايين لم يطلب مغفرة لخطيئته ، بل أنه لم يقل عبارة أخطأت . كل ما أتعبه هو العقوبة ..

وإذ جعل الرب علامة لكى لا تقتله كل من وجده ، " خرج قايين من لدن الرب ، وسكن فى أرض نود " . وسكن معه الخوف و الرعب كل أيام حياته . لقد قتل اخاه فى لحظات . و لكن الخوف ظل يقتله كل يوم وكل ساعة وكل لحظة .. وظلت خطيئته أمامه كل حين ، لا تقوده إلى التوبة إنما تحطمه بالخوف . فمن أخذ بالسيف يؤخذ ..

هناك مجرمون يتمنون العقوبة ، هرباً من الإنزعاج الداخلى . وقد يسلمون أنفسهم للعدالة ويعترفون غير محتملين عذاب الضمير وأو عذاب النفس .

داود ،قد غفر له الله خطيئته ، ونقلها عنه (١ صم ١٢) وسامحة من جهة العقوبة الأبدية ٠ ولكن بشاعة الخطيئة ظلت أمامه فى كل حين (مز ٥٠) ، وبسببها كان يبلل فراشه بدموعه (مز ٦٠) ، ويمزج شرابه بالدموع ٠٠

وظل قايين يطارده الخوف ، وترن فى أذنيه كلمات الرب " تائهاً وهارباً تكون فى الأرض " ٠

وأصعب من طرده من وجه الأرض ، أنه طرد من وجه الله ايضاً ، فمن وجه الله يختفى ٠٠

فالخطية هى إنفصال عن الله ٠٠

والخاطئ ينفصل بخطيئيه عن الله ٠ يختفى الله من حياته ، ويختفى هو من أمام وجه الله ٠ يوجد حاجز كبير بينه وبين الله ٠ ويشعر بهذا الفاصل ، وبفقد الدالة ومشاعر الحب ٠٠

ولا ينكسر هذا الحاجز إلا بالتوبة ، فيصرخ الإنسان قائلاً للرب : إلى متى تحجب وجهك عنى (مز ١٣)

ولكن الكتاب لم يقل إن قايين قد تاب ، ولم يقل إنه عاد فاصطلح مع الله ٠ و لم يقل إن اللعنة زالت عنه ، أو أن الرب عاد فرضى عليه ٠ لقد كان أول إبن لآدم وحواء بعد خطيئتهما ، وللأسف كان إبناً للهلاك ٠ كان أول قاتل ، وأول إنسان ملعون ، وأول إنسان إستحق العقوبة الأبدية ، إلى جوار عقوبته على الأرض ٠

إنه لم يقتل هابيل ، إنما فى الواقع قد قتل نفسه ٠٠ وهابيل لم يمت ، بينما قايين هو أول إنسان مات ، موتاً أبدياً ٠

هل تظنون أن هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان ؟ أم الواقع أن هيرودس قد قتل نفسه ٠ قتل روحه وحياته وأبديته ٠ أما يوحنا فهو حى فى الفردوس يتنعم ٠٠

إن الإنسان الذى يخطئ إلى غيره ، إنما يخطئ إلى نفسه ٠

وما أقل الخطاة ، الذين يشعرون أنهم يحطمون أنفسهم ٠٠

فليعطنا الرب بركة هابيل البار ، أول من ذكر له الكتاب أنه قدم محرقة الرب ، وذبيحة مقبولة ، نذكرها بإستمرار فى كل قداساتنا ٠ فنقول فى مقدمة أوشية بخور باكر "" يا الله ، الذى قبل إليه قرابين هابيل الصديق ٠٠ إقبل إليك هذا البخور من أيدينا نحن الخطاة " ٠٠

وذبيحة هابيل الصديق تعطينا فكرة عن أهمية التقليد فى الكنيسة ٠ لأن هابيل فى تقدمته لم ينفذ وصية مكتوبة ، و لم تكن هناك شريعة مكتوبة فى أيامه ، و لا وصية مكتوبة تأمر بتقديم المحرقات ٠٠ إنما أخذها هابيل عن أبيه ، الذى أخذها من الله

لم تكن هناك وصايا مكتوبة أيام هابيل ٠ ولكن كان هناك التقليد أو التسليم ٠ وجيل يسلم جيلاً وصايا

الرب ٠ وظل الأمر هكذا فى كل ذبائح نوح إبراهيم وإسحق ويعقوب وأيوب ، إلى أن وصلت إلينا الشريعة الكتوبة على يد موسى النبى ، بعد آلاف من السنين عاشتها البشرية بالتقليد والتسليم من الآباء ٠٠ وجميل جداً هو قول الكتاب عن تقدمة هابيل البار : **" وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها " (عب ٤)**

لقد قدم البار افضل ما عنده للرب ٠ بل أنه نفذ وصية البكور ، قبل أن يقول الرب على يد موسى النبى " قدس لى كل بكر ، كل فاتح رحم ٠٠ إنه لى " (خر ١٣ : ٢) ٠

أتراه قدم البكور ، بروح النبوة ، قبل الوصية المكتوبة ؟ أم تراه فعل ذلك عن طريق التقليد والتسليم أيضاً ؟ أم هو القلب البار الحساس الذى يدرك مشيئة الرب ورغبته ، دون أن يتلقنها من معلم ٠٠ ؟

إنه هابيل الذى شهد له أنه بار ، وشهد الله لقرابينه ٠ " وبه وإن مات يتكلم بعد " (عب ١١ : ٤)

ولقد ذكره بولس الرسول فى مقدمة رجال الإيمان : فقال " بالإيمان ، قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين " (عب ١١ : ٤) ٠ إذن لم تكن هذه الذبيحة مجرد أمر تعوده هابيل ، أو تسلمه بلا فهم ٠ وإنما كان عملاً من أعمال الإيمان "" به شهد له أنه بار " ٠٠

إن هابيل يمثل الإيمان وهو بكر ، فى بداية معرفته ٠ إنه أول إنسان فى العالم ، وصف بكلمة الإيمان ٠

ترى ماذا كان الإيمان فى أيام هابيل ؟

إنه على أية الحالات كان بداية لذلك المبدأ اللاهوتى القائل " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عب ٩ : ٢٢) ٠ الخطية كشفت عرى الإنسان آدم ، والذبيحة عظته ، حينما صنع له الله أقمصه من الجلد (تك ٣ : ٢١) ، ورفض أن يغطى بورق التين ، وبشئ من ثمار الأرض ٠

وعرف هابيل هذه الحقيقة : الله يريد الدم لا ثمار الأرض ٠ فقدم الدم من أبكار غنمه ومن سمانها ٠ بينما قدم قايين من ثمار الأرض ٠ وكأنه لا يؤمن بما حدث لأبويه ٠٠

وكانت ذبيحة هابيل رمزاً لذبيحة السيد المسيح ٠ وكان هابيل فى ذبيحته كاهناً للرب ٠ ولم يكن قايين كذلك ٠٠٠

ولم يذكر الكتاب خطية إرتكبها هابيل ، بل شهد له السيد المسيح نفسه أنه بار (مت ٢٣ : ٣٥) ٠ ويذكرنا بالبر الذى يناله كل من يقدم ذبيحة للرب ٠

أنستطيع أيضاً أن نقول إن هابيل كان أول شهيد :

لقد قتل لأجل بره ، وبسبب ذبيحته التى قبلها الرب ، ورضى عنها إنه أول دم بشرى يتقبله الرب ٠

إنه باكورة الدماء الزكية المقدسة التى تقبلتها السماء ، عبر الجيال الطويلة ٠٠

إنه الباكورة التى قدمت بكورها للرب ٠

وحسناً إنه إنتقل إلى السماء بعد تقديمه الذبيحة ٠

إنتقل وهو فى حالة بر ، مقدس بالذبيحة التى قدمها ٠

وعزيز عند الرب موت أتقيائه ٠٠

فهرست

شخصيات الكتاب	٦
آدم وحواء	١٣
قايين وهابيل	٤١